قافلة الزيت

شوال ١٣٨٥
يناير - فبراير ١٩٦٦



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

	الصفحة
تهنئة العيد	١
سوق عكاظ	٢
هكذا عرفت شوقي	٤
مديرية الشؤون الزراعية في المدينة المنورة	٧
ترجمة الشعر	١١
حاول أن تجيب	١٣
وصفوها — قصيدة —	١٤
صيانة الآلات في أرامكو	١٥
نباتات سامة	١٩
محمد عبد الله عنان .. مؤرخ الاسلام والأندلس	٢١
مياه صالحة للري من البحر	٢٣
الخرج .. ماضيها وحاضرها	٢٥
في معترك الحضارة — كتاب الشهر	٢٩
أنشودة باسمة — قصيدة —	٣٢
ألوان	٣٣
من تراث العرب	٣٤
مركبات التنظيف الكيماوية	٣٥
خريف — قصة —	٣٩
وقفة على آثار السودان الدوارس	٤١
أجوبة حاول أن تجيب	٤٥
الحركة الأدبية في العالم العربي	٤٦
كيف تربين طفلك — ركن المنزل	٤٧
الصفحة الضاحكة	٤٩

صورة الغلاف

ناقلة زيت لدى ارسائها في فرضة رأس تنورة (منظر جوي) .

تصوير : مودي



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

عيد سعيد

اعزائي الموظفين

يسعدني أن انتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لكم ولأفراد عائلاتكم اخلص التهاني وأزكى التمنيات. سائلا المولى عز وجل أن يعيده عليكم جميعا وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، باليمن والخير والبركات. كما يطيب لي في هذه المناسبة السعيدة أن أعبر لكم عن خالص تقديري لما تبذلونه من جهد وتعاون في سبيل الصالح العام.

توماس بارقر

توماس بارقر

رئيس شركة الزيت العربية الامريكية

يحتفل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها بحلول عيد الفطر المبارك وقلوبهم مفعمة بالايمان والبهجة والوئام واسرة تحرير قافلة الزيت تنتهز هذه المناسبة السعيدة، لتقدم للجميع اطيب التهاني واسعد التمنيات.

اسرة التحرير

قافلة الزيت

العدد العاشر — المجلد الثالث عشر

تصدر شهريا عن: شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها: سيف الدين عاشور

المحرر المساعد: فؤاد الزرنين

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران ، المملكة العربية السعودية



سوق عكاظ من البداية الى النهاية

بقلم الاستاذ : عبد القدوس الانصاري

سنحاول في هذه المقالة تحديد الزمن الذي بدئت فيه سوق عكاظ . والزمن الذي وئدت فيه .

وتحديد ظرف انتهائها أيسر بكثير من تحديد وقت ابتدائها .. لأن ابتداءها كان في عصر الجاهلية العربية الذي قلما يظفر فيه الباحث بشيء محدد التاريخ . وأما زمن انقضائها فقد كان في عهد الاسلام الذي عني فيه بتواريخ الأحداث الكبار ..

من المعروف أن مولد رسول الله، صلى الله عليه وسلم ،كان في عام الفيل . وهو يوافق سنة ٥٧٠ــ٥٧١م. وبعثته عليه السلام كانت على رأس الأربعين من مولده . وهي توافق سنة ٦١٠م . وقد حدثنا المؤرخون وكتاب السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد شهد (المجمع العربي العكاظي) وهو غلام حدث . وراقه وهو في هذه السن المبكرة تلك الخطبة الرائعة التي جاءت على خلاف سنن خطباء عكاظ من فصحاء العرب ومفوهيهم ، اذ كانوا يخطبون في المفاخرة والمنافرة وما أشبه من شؤون الدنيا . أما هـــذه الخطبة العجيبة الفذة في بابها التي ألقاها الشيخ السمح (قس بن ساعدة) الأيادي . وهو على جمله الأورق ، في حشد من عرب عكاظ ونبههم الى أنهم في ضلال عقديّ كبير . فقد بقي أثرها ذا جذور عميقة في نفوس القوم . وبقيت عالقة في ذهن الرسول عليه السلام طيلة حياته . وجاءت مناسبة الاشادة بها يوم أقبل عليه وفد ياد ، في عام الوفود ، فسألهم : ما فعل قس بن ساعدة ؟ فقالوا له : مات يا رسول الله ! فحدثهم عن ذكراه له ، وقال : « كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه » . فلما قال له أحدهم : انه يحفظه وتلاه بين يديه . قال الرسول : (يرحم الله قسا ، اني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده) .

وحدثنا المؤرخون ورواة السيرة النبوية أيضا حديث شهود الرسول عليه السلام لحروب الفجار التي اندلعت بين قريش واحلافهم ، وهوازن ، وكان ابن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة أو عشرين اذ ذاك . وقد سرد لنا صاحب كتاب (أسواق العرب) هذه الروايات وارتأى أن التوفيق بينها يتم اذا قررنا انه صلى الله عليه وسلم حضر أول حروب الفجار وهو ابن أربعة عشر عاما ، وآخرها بعد ذلك وهو ابن عشرين (١) فتكون حروب الفجار وقعت قبل البعثة بخمسة وعشرين عاما ، أي سنة (٥٨٥) م .

ويروي لنا أبو الوليد الأزرقي في كتابه (أخبار مكة) عن جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لبث بمكة يتبع الحاج في منازلهم ، في الموسم ، بمجنة ، وعكاظ ، ومنازلهم بمنى وهو يناديهم بقولـــه (من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة ؟) .. فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره ، حتى أن الرجل يرحل صاحبه من مضر أو اليمن فيأتيه قومه أو ذوو رحمه ، فيقولون : (احذر فتى

(١) ص ١٦٥ الطبعة الثانية .

قريش لا يفتنك ...) . يمشي بين (رحالهم) يدعوهم الى الله عز وجل ، فيشيرون اليه بأصابعهم حتى بعث الله عز وجل له من يثرب الخ.

ويقول حديث آخر : ان الخنساء انحدرت بهودجها الى عكاظ ، تسجل فيها رسميا انها أعظم العربيات مصيبة ، بما قتل في احدى المعارك القبلية من والدها سيد العرب : عمرو ابن الشريد، وأخويها : صخر ومعاوية . وظلت على غشيانها سوق عكاظ بهودجها نادبة باكية كل عام ، حتى كان عام بدر فنافستها هند بنت عتبة في الأعلام في عكاظ بهذه (المصيبة) العظمى ، بما قتل يوم بدر من أبيها وعمها وأخيها .

فاذا ضممنا هذه الأحاديث الى بعض ودرسناها أمكننا أن نخرج منها بنتائج ايجابية ، جزئية وهامة لقضية التحقيق في ماضي سوق عكاظ في بدايتها وفي ذروة نشاطها الذي أعقبه انهيارها ، وانقضاؤها. ونستطيع أن نقول ـ استنتاجا من الروايات المسرودة آنفا : ان سوق عكاظ كان نشاطها كبيرا ، ومشهورا ، واسمها ونفوذها مدويين في أنحاء جزيرة العرب ، وتأثيرها في عقلياتهم ومجتمعاتهم وأحوالهم طيلة حياة الرسول عليه السلام ، أمرا كان مرموقا وملموسا . ذلك أن وفود العرب وفدت اليه في العام العاشر للهجرة ، ومنهم وفد اياد قوم قس بن ساعدة الادنين .. ومشهد وقفة جمله الأورق بين جموع عرب عكاظ ، وخطابه ذو الحلاوة بينهم لم يزالا ماثلين في ذهن الرسول ، حتى بعد أربعين عاما من حدوثهما . وقد ذكر بهما قومه الوافدين اليه بعدما انتشرت أضواء الاسلام في شتى انحاء الجزيرة . وكانوا للخطاب حافظين مما يدل على عمق أثره في ألباب القوم على بعد واقعهم من أهدافه اذ ذاك .

فاذا فرضنا أن الرسول شهد قسا وعمره فوق العاشرة مثلا ، فيكون عام الوفود بعد نحو خمسين عاما من حداثته المبكرة ، لأنه كان في سنة ١٠ هـ . كما ان تقديمه النبل في حروب الفجار لقريش ، وهو ابن أربعة عشر عاما الى عشرين يدل على ازدهار عكاظ في تلك الحقبة من الدهر . ووفود هند بنت عتبة على عكاظ عقب معركة بدر منافسة الخنساء في (الأعلام) بعظم مصيبتها هو الآخر يدل على أن عكاظ كانت حتى ذلك الوقت ـ وهو من الهجرة ـ مرجع قضايا العرب الكبرى ومناط آمالهم وآلامهم ومعرضهم الكبير .

هذا وكل ما أوردناه فيما سبق ، هو طرف من البحث أردنا من ورائه تحديد بعض أوجه ازدهار سوق عكاظ مما له مساس وصلة بعهد الاسلام في أول أحقابه . ونضيف الى ذلك ما رواه المؤرخون من أن اسلام الانصار لم ينشأ من منى بالموسم كما يظنه الكثيرون ، وانما نشأ من سوق عكاظ نفسها ، حيث ظل النبي عليه السلام يعرض الاسلام كل عام على كل الوافدين الى عكاظ من كل قبائل العرب ، قبيلة قبيلة ، حتى هدى الله بـه بعض بني قيلة وهم في عكاظ ، فآمنوا به ورجعوا الى بلدهم (يثرب) وأعلنوا الاسلام ونشروه ثم كانت بيعة العقبة .

وبعد المقدمات السالفة ندخل في صلب الموضوع .. وهو تحديد افتتاح سوق عكاظ .. واختتامها .. ومن أهم من تعرضوا لهذه المسألة الأستاذ سعيد الافغاني في كتابه (أسواق العرب) . يقول : (لسنا نعلم لهذه السوق بداية محدودة ، الا أننا نرجح وجودها قبل القرن السادس الميلادي) .

وعلى هامش هذا الرأي سجل تخبط المراجع القديمة والحديثة في هذا الشأن .. فالألوسي ووجدي والاسكندرى والعناني والدكتور محمد حسين هيكل اتفقوا على أن عكاظ افتتحت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة .. وينقض هذا الرأي ما روي من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان ينبّل على أعمامه في حروب الفجار وعمره أربع عشرة سنة ، أي بعد عام الفيل بأربع عشرة سنة .. اذ معنى هذا ، أن حروب الفجار وتقديم الرسول لقومه النبل فيها ، كانا قبل وجود عكاظ بسنة مع أن حروب الفجار كان منشؤها من عكاظ نفسها كما هو معلوم . هذا تناقض واضح . وجاء المؤلف لنا بدلائله التي تقرر أن افتتاح سوق عكاظ كان قبل حروب الفجار بأمد مديد مثل المرأة التي باعت السمن بعكاظ وتزوجت بعبد شمس بعد ذلك . ومثل عمرو بن كلثوم الذي أنشد قصيدته بعكاظ وكان عائشا حول سنة (٥٠٠م) . كما ان ولاية عشرة قضاة متتابعين للقضاء في عكاظ قبل الاسلام يدل على بعد عهدها بالنسبة للاسلام ، وبالنسبة لحروب الفجار التي حدثت قبل البعثة بربع قرن من الزمان .

هذا كل ما توصل اليه صاحب (أسواق العرب) من النتائج حول مبدأ نشوء سوق عكاظ ، وهي نتائج طيبة . ونضيف اليها ما هو أكثر تحديدا وانطباقا وتعريفا بمبدأ نشأة هذه السوق التي أحدثت دويا كبيرا في جزيرة العرب ، وحاولت جمع متفرقهم ونجحت في كثير من توحيد أوضاعهم الاجتماعية والبيئية والسياسية .. قبل عهد الاسلام .

وهذا الذي نضيفه هو نتيجة دراسة فاحصة لحياة النابغة الجعدي (٢) وبعض شعره ذي العلاقة الوطيدة بحياته المديدة وبسوق عكاظ معا . ففي ديوانه وردت خمسة أبيات هي :

قالت أمامة كم عمرت زمانة
وذبحت من عِتْرٍ على الأوثان
ولقد شهدتُ عكاظ قبل محلها
فيها وكنت أعدّ م الفتيان
والمنذر بن محرّق في ملكه
وشهدتُ يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء احمدُ بالهدى
وقوارع تُتْلى من الفرقان
ولبست م الاسلام ثوبا واسعا
من سَيْبِ لا حرم ولا منان

وقد شرح ناشر الديوان (محمد زهير الشاويش) هذه الأبيات شرحا مفيدا مستطابا دقيقا اذ يقول : (ان حكم النعمان كان في القرن السادس للميلاد ، فيغلب على الظن ان النابغة أدرك أواخر القرن الخامس للميلاد .. ثم قال : (ان النعمان بن المنذر ولي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة وعشرين عاما (٥٨٦م) وتوفي قبل مبعثه بسنتين .)

واذا نظرنا الى أن النابغة الجعدي قد عاش نحو مائة وخمسين عاما على أرجح الأقوال لدينا ، كان أكثر من نصفها في الجاهلية ، وأقلها في الاسلام (ودليلنا على ذلك من شعره انه عاصر ثلاثة أجيال وانه توفي في أواسط المائة الأولى للهجرة) ..

واذا قرنّا الى ذلك قوله : انه شهد عكاظ قبل افتتاحها في محلها .. وهو فتى .. اي انه كان حدثا في نحو عشر سنين .. أمكننا عندها أن نقول من باب التقريب ان سوق عكاظ بدىء افتتاحها في محلها في نحو سنة ٦٠ قبل مولده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق سنة (٥١١م). وهذا التاريخ لا يفترق عن التاريخ الذي حدده سعيد الافغاني بكثير .

أما تاريخ انتهاء سوق عكاظ .. فيحدثنا التاريخ انه كان سنة ١٢٩هـ حيث خرجت الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف في مكة في تلك السنة فنهبوا سوق عكاظ فهُجِرت الى الآن (٣) .

---

(٢) ديوانه المطبوع حديثا على نفقة سمو الشيخ علي آل ثاني ، وقد اهدانا اياه فضيلة الشيخ محمد نصيف مد الله في عمره .

(٣) أسواق العرب ص ٣٤٣ الطبعة الثانية

ذكريات للأدب والتاريخ

هكذا عرفت شوقي

كنت أفضل حافظاً على شوقي، ثم وثقت بعبقريته

رأي الشيخ محمد المهدي في شوقي وحافظ ابراهيم..!

من قال: «فانما الأمم الأخلاق ما بقيت..»؟!

كيف ألف شوقي مسرحية «مجنون ليلى»..؟

بقلم: الاستاذ طاهر أحمد الطامي

كنت في صباي أتعلم في مدرسة ابتدائية ببلدتي «دمياط» تدعى «مدرسة شمس الفتوح» لصاحبها الشاعر المجيد «علي علي العزبي». والد صديقي رجاء العزبي رئيس تحرير «مجلة الاذاعة والتلفزيون» الآن. وكان هذا الشاعر أحسن الله اليه. ينظم الأناشيد والقصائد المدرسية والقومية في مناسباتها ويجيد الالقاء نظما ونثرا كأحسن ما يلقي الشعراء والخطباء. وكنت مع اثنين من زملائي الفرسان الأطفال الثلاثة الذين يختارون لالقاء بعض القصائد الوطنية. والأناشيد القومية في حضرة زائر كبير. أو مفتش قدير من مفتشي وزارة المعارف العمومية. أو لقيادة التلاميذ في أناشيدهم المدرسية التي ينظمها «علي العزبي» في سهولة وقوة.

وكان هذا الناظر الشاعر. نابغة دمياط في الشعر. وهو شاعرها الأول. بل «شاعر مصر الأول» في نظرنا في ذلك الحين!!..

وكان يشتد علينا في حفظ القصائد والأناشيد. واجادة إلقائها في هذه السن الصغيرة. حتى كانت ضربات العصا على القدمين لا تقل عددا عن غلطات اللسان أو سهو الأذهان.

وكان للشاعر «علي العزبي» صلة بشاعر النيل حافظ ابراهيم. والشاعر امام العبد. وطالما كان يراسلهما ويراسلانه. ويداعبهما بالشعر ويداعبانه. وهو في رقة معانيه. وفصاحة ألفاظه أقرب اليهما من سائر الشعراء. ولكنه كان يميل في بعض شعره الى أنواع البديع. وأذكر من جناسه وتوريته في غزله قوله في حسناء:

جنت وجنيت الــورد من وجناتها
فقالت من الجاني؟ فقلت أنا الجاني

وكان إلقاء هـذا الشاعر لا يقل قوة وجودة عن إلقاء حافظ ابراهيم بل كان صوته أرق وأجمل من صوت شاعر النيل. فكان تأثيره في شباب دمياط أقوى تأثير ...

* * *

في ذلك الحين اشتهر كتاب بيننا نحن الناشئين باسم «جواهر الأدب» يجمع من مختار الشعر والنثر طائفة لبعض المتقدمين والمحدثين. وفيهم حافظ ابراهيم. واحمد شوقي. ومحمود سامي البارودي. ولكن شعر حافظ كان أقرب الى نفسي لسهولته وموسيقاه الحزينة. وعاطفته الباكية. وليس أشد تأثيرا في النفس من بواعث البكاء والأحزان. لمـا فطر عليه الانسان من الرحمة. وحب الحياة. فالرحمة تكف الكثير

من شره ، وتدفعه الى عمل الخير ، ومعاونة أخيه في بأسائه .. وحب الحياة يثير في نفسه الألم لمن تعذب في الحياة أو فقدها .

حتى اذا طويت أيام الصبا ، ونزلت القاهرة للدراسة ، جعلت أبحث عن شعر حافظ في الصحف والمجلات . وكان شوقي ما يزال في منفاه بالأندلس . وقد أتاح له غيابه عن مصر ، سعة في الشهرة . لا ينازعه فيها الا خليل مطران ، وعبد الحليم المصري ، واسماعيل باشا صبري . وكان « ديوان حافظ ابراهيم » في طبعته الأولى . أول ديوان اشتريته . وقد حثني على شرائه ما قرأته من شعره فـي « مجلة الزهـور » لصاحبها انطون الجميل ، حينما كنت أتردد على قاعة المطالعة في دار الكتب المصرية . وما رأيته في « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » اللتين كانتا لشاعر القطرين خليل مطران في أوائل هذا القرن .

أما « احمد شوقي » فكنت لا أقرأ له كثيرا . فقد كان شعره أسمى من ادراك فتى لم ينل النصيب الكافي من الثقافة الأدبية ، ولم يضرب في علم الشعر وفنه بما يؤهله للحكم على الشعراء . أو اصابة الرأي في شاعر عبقري كشوقي .. ومن هنا خطر النقد الذاتي حين ينبعث بين شباب ما يزالون في مفتتح الطريق .

ويشاء الله أن اقرأ سلسلة بحث أدبي كتبها خليل مطران في « المجلة المصرية » من الجزء الحادي عشر الصادر في ٢١ مارس ١٩٠٦ م الى الجزء الثامن عشر الصادر في يونيه ١٩٠٩ م بعنوان : « كيف ينظم شعراؤنا ؟ » . وكنت أعرف لمطران مكانته في عالم الأدب . وصحة رأيه ، وقد كتب في هذا البحث كلمة عن « شوقي » جاء فيها :

« ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم . وليس معهم ، وينظم في المركبة . وفي السكة الحديدية وفي المجتمع الرسمي . وحين يشاء وحيث يشاء . ولا يعرف جليسه انه ينظم الا اذا سمع منه بادىء بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد ، ثم رأى ناظريه . وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين . ثم بصر به . وقد رفع يده الى جبينه . وأمرها عليه امرارا خفيفا هنيهة بعد هنيهة . فاذا قوطع في خلال النظم . انتقل الى أي بحث يباحث فيه حاضر الذهن ، جميل البادرة كعادته في الحديث . ثم اذا استأنف ذلك المنظوم ، ولو بعد أيام طوال . عاد اليه وكأنه لم ينقطع عنه .. »

ثم يقول :

« يكلف أحيانا بمعارضة المتقدمين ، ولا يندر عليه أن يبزهم !! . لا يجهد فكره . ولا يكده في معنى أو مبنى . فأما المعنى فيجيئه على أبعد من مرامه . ولا ينضب عنده لأنه يستخلصه من عقل فوار الذكاء . ومعارف جامعة الى أفانين الآداب في لغات الافرنج والاعراب .. الى مشاركات علمية . وتنبيهات فنية استفادها من مطالعته في صفوف الكتب . واتخذها من ملحوظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأما المبنى . فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول . ترى فيه من نسج البحتري . ومن صياغة ابي تمام . ومن وثبات المتنبي . ومن مفاجآت الشريف . ومن مسلسلات مهيار .. وفي المجموع تجد صفة عامة للنظم هي : انه نظم شوقي .. ذلك شعر العبقرية والتفوق » !

قرأت هذا الوصف لخليل مطران فيما كتبه عن نوابغ شعراء العصر في بحثه المسلسل . وكنت وقتئذ من الشادين في الادب . المحبين لمجالس الأدباء . وكان من اساتذتي الشيخ محمد المهدي استاذ الأدب العربي وتاريخه في الجامعة المصرية القديمة . وله شهرة في نقد الشعر ودراسته وحسن اختياره . وكان حافظ قد اشتهر بين الجماهير بجودة إلقائه الى ما له من شهرة بين الشباب بأشعاره الوطنية وقصائده الاجتماعية . وعطفه على البؤساء والمساكين .

وكان شعر شوقي أعلى من مستوى الجماهير . وهو لا يجيد الالقاء . فكان يكلف بعض أصدقائه ومعارفه بالقاء قصيدته .. والالقاء موهبة . أو فن يحتاج الى خبرة ومران . واندماج فيما يلقى على السامعين . وبخاصة الشعر . .

فلم يوفق شوقي يوما الى من يلقي شعره القاء يجتذب الآذان فكانت قصائده في الحقل الذي يلقي فيها حافظ قصائده لا تصادف مـن السامعين تشجيعا كثيرا .. !

وذات مساء مررت على الشيخ محمد المهدي جالسا في فناء الجامعة . فاستأذنته في الجلوس . ثم أخذت أسأله عن كبار شعرائنا . ومكانة كل منهم في طبقات الشعراء الخالدين فأجابني ان شوقي ، ومطران في الطبقة الأولى . ولكنه يقدم شوقي على جميع الشعراء المعاصرين . وبعض المتقدمين .. ثم يأتي بعد خليل مطران عبد المحسن الكاظمي .. !

وجعل يتحدث عن شعراء الطبقة الثانية . ولم يذكر بينهم حافظ ابراهيم . فقلت له في دهشة : « وحافظ ابراهيم في أي طبقة . وهل نسيته ؟ » فقال . وكأنما كان مستحضرا الجواب :

« شعر حافظ ابراهيم اذا قيل لألفاظه أنفري نفرت . ولم يبق له منها شيء » !!

وهو يعني انه شاعر صياغة لفظية وايقاع موسيقي . لا شاعر معان مبتكرة وخيال خصب . وبيان خالد .

ولولا أن الشيخ المهدي في ذلك الحـين كان من أقطاب الأدب الذين يقدرون كبار الأدباء ويحترمونهم . لأتهمته بالميل مع الهوى . لصداقة أو مودة بينه وبين شوقي جعلته يضن في تقدير حافظ هذا الضن .. !

غير أنني ما زلت وقتئذ على تقديمي لحافظ ابراهيم . وان كان ما سمعته من استاذي قد زعزع شيئا من ثقتي به . واقبالي على شعره .

وكنت وغيري من شباب ذلك الجيل نقرأ لناقدي شوقي ، ونتأثر بآرائهم الجديدة . والشباب دائما نزّاع الى الجديد والتجديد .. ولم تكن ملكتنا الأدبية وثقافتنا الفنية تساعدنا على تكوين رأي شخصي في شاعر كبير كشوقي أو تكشف لنا جوانب عبقريته .. !

وكان شوقي قد اشتهر بما يرسل من حكم كالمتنبي في شعره . وذات يوم قرأت نقدا لكاتب لم يعلن عن اسمه . تناول أشهر بيت من حكمه . وهـو :

فانما الامم الأخـلاق ما بقيت
فانهمو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وادعى الكاتب أنه مسروق من قول « ابن رعلاء العناني » الذي قال :

فانما الامم الاخلاق ما صلحت
فانهمو فسدت أخلاقهم فسدوا

البيت الأول يبدو أنه الأصيل وان الثاني مزعوم مدسوس . ولم أعرف ان هناك شاعرا يدعى ابن (رعلاء) .

وذهبت الى شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي . وكنت قد عرفته واتصلت به . وأخذت أقرأ عليه ديوان شوقي بعد قراءتي عليه الجزء الأول والثاني من ديوان محمود سامي البارودي . وسألته عن شاعر يدعى « ابن رعلاء العناني » وقصصت عليه قصة البيتين . فضحك . وقال :

« ان البيت الثاني كاذب . وشاعره مكذوب . والرعلاء مؤنث الأرعل . والأرعل هو الأحمق . والرعلاء هي الحمقاء . وابن الحمقاء لا يعظ الناس في الأخلاق » !!...

° ° °

وحينما كنت أقرأ على الشيخ عبد المحسن الكاظمي في داره ، ديوان محمود سامي البارودي كان يعجب بجزالة أسلوبه ونسجه المتين على مثال شعراء الصدر الأول ، وخاصة أشعاره الحماسية . ويعده زعيم شعراء العصر ، وأميرهم ، ولكنه حينما أعاد نظره وسمعه لقصائد شوقي وأنا أقرؤها عليه كان يطرب أكثر ما يطرب ، وكان ذهنه يثب أكثر مايثب ، وكان شعوره يفيض به فيضا . فتراه يتغنى مرددا معي بعض الأبيات ، أو أكثر الأبيات . ثم يقول : « لقد عرفت شوقي ، وقرأت له ثلاثين عاما ، وكنت أضعه بعد سامي البارودي . ولكنك يا بني في قراءتي معك الآن صححت رأيي ، وآمنت أن احمد شوقي شاعر فحل خصب فياض فياض ، لا يلحقه البارودي ، بل لايلحقه من الشعراء الكثيرون » ! !

ولقد كنا نذهب مع شوقي في طرب بمعانيه ، ونسمو في اعجاب بخياله العجيب . وكان يدهشنا بمعارضته لكبار الشعراء المتقدمين ، فيفيض ، ويتفوق عليهم . فقد يكون لبعضهم قصيدة من أربعين او خمسين بيتا ، فيعارضها شوقي بما تزيد أبياتها على المائتين ، كما في معارضته قصيدة أبي الطيب المتنبي في مدح كافور الأخشيدي وهي ستة وأربعون بيتا ومطلعها :

« **أغالب فيك الشوق والشوق اغلب**
وأعجب من ذا الهجر والهجر اعجب

فقد عارضها احمد شوقي بقصيدة « صدى الحرب » في الحرب العثمانية اليونانية . ومطلعها :

« **بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب**
وينصر دين الله أيان تضرب »

وقد بلغت أبيات هذه القصيدة مائتين وستين بيتا . وأتى فيها من المعاني الجديدة ، والخيال الخصب ، والقدرة في معارضة المتنبي ، ومبارزته في حلبة القريض بالبديع الفرد ، وبما تخلف فيه المتنبي عن سبقه . ومن أمثلة ذلك وصفه للسفينة الانجليزية التي غرقت في الحرب العالمية الأولى بقنبلة غواصة المانية ، وكان فيها مصرع اللورد كتشنر ، فقد جاء في ذلك الوصف البليغ الموجز ما يلي :

ضربتها وهي سر في الدجى
ليس دون الله تحت الليل سر
وجفت قلبا ، وخارت جؤجؤا
ونزت جنباً ،وناءت في أخر
طعنت ، فانبجست فاستصرخت
فأتاها حينها ، فهي خبر

* * *

وعرفت شوقي منذ ذلك الحين ، وشعبت الى التأثر به ، والاستفادة من شعره وما يحويه من بلاغة عربية أصيلة ، وخيال معجز ، وعلم غزير ، وحكم صادقة بليغة ، فاقت في عددها وبلاغتها وسدادها ما أتى به حكماء الشعراء اذا استثنينا في ذلك أبا العلاء المعري .. !

وشجعتني حرفة الصحافة التي ملت اليها عن صناعة التدريس في مبدأ حياتي العملية على أن أزور أمير الشعراء احمد شوقي ، وكانت مسرحيته : « مجنون ليلى » تمثل على مسرح الأوبرا وكنت أعلم انه يعنى بتأليف الروايات قبل ذلك بنحو ثلاثين عاما . ولكنه بعد أن بويع بامارة الشعر ١٩٢٧ م في مؤتمر فخم جمع كبار الشعراء من جميع الأقطار العربية ، وبعد أن تقدم المسرح العربي ، وعني الجمهور بفن التمثيل ، أراد شوقي أن يؤدي رسالته في هذا الفن ، ويخدم نهضته خدمة جليلة ، فقدم للمسرح رواية مصرع كليوباترا ، ورواية مجنون ليلى ، ورواية قمبيز ، وعلي بك الكبير ، ورواية عنترة ، وأميرة الأندلس ، وكلها مسرحيات شعرية ، ما عدا الأخيرة .

ولما كانت قصة « مجنون ليلى » قد تناولها الكثيرون من السابقين فقد رأيت أن أعرف كيف ألفها شوقي ، وكيف وضع أشعارها ، ثم كيف أخرجها في اطارها المسرحي الحديث . وأجابني أمير الشعراء ، فقال :

« ألفت رواية مجنون ليلى وهي مأساة غرامية عذرية . واذا قلت ألفت ، فانما أعني انني اعتمدت فيها على خلقي وابتكاري في الكثير من المواقف . فقد تعلم ان ما جاء بالأغاني عن قصة المجنون مع ليلاه متناقض مضطرب . فالمجنون في بعض الروايات لم يخلق قط . وفي روايات أخرى عشق ومات بالعشق ملتاثا مذهول الوعي . وكذلك ما جاء في كتاب « مصارع العشاق » ، وكتاب « خزانة الأدب » للبغدادي . ولا أكتمك انني وجدت صعوبات جمة في تأليف هذه القصة ، واعتورتني متاعب كثيرة في نظمها ، ووضعها وضعا جديرا بالمسرح الحديث الذي يحتاج الى الحركة والأشخاص ، والأحداث المتعددة ، والمواقف المختلفة .. والحركة والأحداث هي روح الفن المسرحي ، وقوام التمثيل . وليس في قصة المجنون الا الصحراء ، والخيام ، والبدو ، والهوى العذري ، الذي يختبل صاحبه ، ويموت محروما ، بعد أن قيدته التقاليد عن المغامرة ، وحبسته العفة والحياء عن المخاطرة في سبيل هواه . فأودع شعره لوعته وأحزانه وآلامه .. ! على انني بعد جهد ألفت رواية مسرحية تنبض بالحركة والحياة والأحداث ، وابتدعت فيها المواقف في جو من التقاليد والعادات « الجاهلية المهذبة » التي عاشت في صدر الاسلام فترة من الزمان . فقد وقعت قصة المجنون في عصر معاوية بن أبي سفيان رأس الدولة الأموية . وأنا أسمي هذا العصر « الجاهلية المهذبة » . ومن أدلتي على ذلك أن مروان بن الحكم والي معاوية على الحجاز ، أهدر دم قيس بن ذريح عاشق « لبنى » نزولا على تقاليد العرب في الجاهلية ، مع أن الاسلام لا يجيز ذلك ، ولا يسمح به .. ! وقد ذهب الحسين بن علي رضي الله عنه حافي القدمين الى والد « لبنى » يخطبها لقيس بن ذريح عاشقها المعذب ، فضحى والدها بالتقاليد الجاهلية التي تقضي بألا يتزوج الشاب الفتاة التي يشهر بحبها بين الناس ، وزوج لبنى من قيس . ! ولم أسمح لنفسي كشاعر أن أستخدم في هذه الرواية ما رواه المتقدمون من شعر المجنون الا نذرا يسيرا كبيت أو بيتين في أحد المواقف يحكيان الروح الشعرية والغرامية للمجنون ، أو يصوران حوارا قد حدث بين « ورد » زوج ليلى ، والمجنون . »

* * *

وقد كان شوقي يعنى برأي الجماهير في شعره وروراياته قبل رأي النقاد ، لأن أكثرهم كما كان يقول : « ليسوا قضاة عادلين » . فاذا نشر قصيدة تفقد ما يقال عنها في المجالس . وربما طوى اليوم كله في تفقد أقوال الناس .. واذا مثلت له رواية قاس نجاحها باقبال الجمهور عليها .

وكان لا يسلم بأن هناك شعرا جديدا ، وشعرا قديما ، بل يرى أن هناك شعرا جيدا أو شعرا رديئا وان الشعر الرديء يموت قبل أهله ، والجيد يبقى وان مات أهله ، على حد قول دعبل الخزاعي :

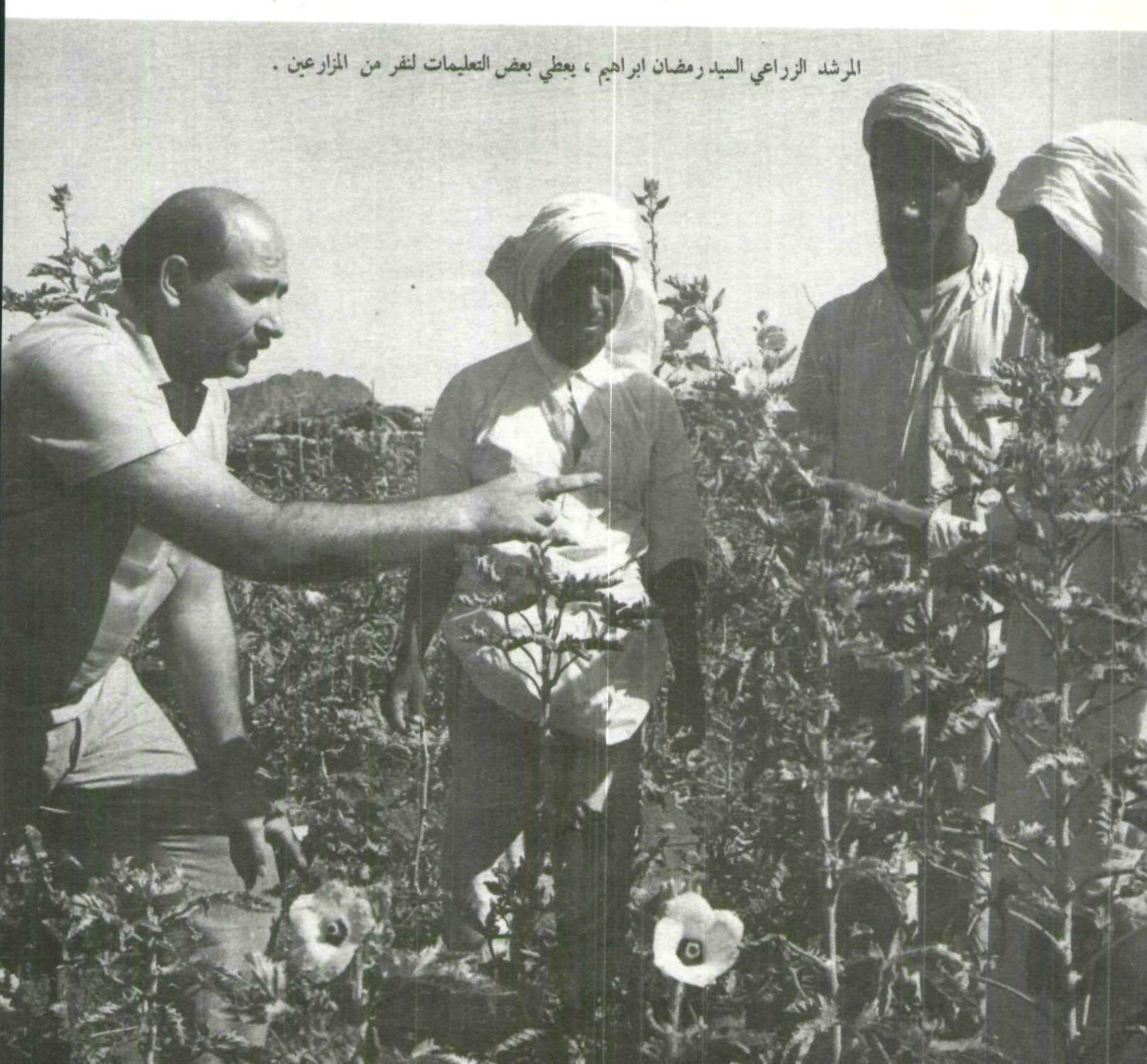
يموت رديء الشعر من قبل اهله
وجيدة يبقى وان مات قائله

وقد أوضح هذا المعنى ببلاغة ، وشرحه بفنه وعلمه في احدى قصائده حيث يقول :

الله كرّم بالبيان عصابة
في العالمين عزيزة الميلاد
«هومير » أحدث من قرون بعده
شعراً ، وان لم تخل من آحاد
والشعر في حيث النفوس تلذه
لا في الجديد ، ولا القديم العادي

مديرية الشؤون الزراعية في المدينة المنورة

بقلم : الاستاذ ابراهيم الزاحم



المرشد الزراعي السيد رمضان ابراهيم ، يعطي بعض التعليمات لنفر من المزارعين .

حيث الغايات الهامة التي ترمي الى تحقيقها خطط التطوير والتنمية في الأمة تمكينها من الاعتماد على نفسها في سد حاجاتها ما أمكن . وذلك عن طريق تطوير قدراتها وقواها الكـامنة باستخدام أفضل السبل ، والزراعة من أهم هذه القوى . فمن الملموس حقا أن حكومة هذا البلد الرشيدة . تحت رعاية وارشاد رائدها وقائدها جلالة الملك المعظم . تسير سيرا حثيثا في الطريق المرسوم لها نحو الغاية المرجوة والأمل المنشود .

لقد أولت هـذه الحكومة الزراعة كما أولت غيرها الكثير من اهتمامها . فأنشأت المـزارع النموذجية واستحضرت الخبراء وقدمت القروض لتيسير سبل التقدم ورفـع مستوى المزارع واستغلال الأراضي الصالحة للزراعة . ولعل مديرية الشؤون الزراعية بالمدينة المنورة صورة حية لهذه السياسة الحكيمة .

ولا شك في أن وزارة الزراعة قـد أحسنت الاختيار حينما أسندت ادارة هـذه المديرية الى شخص كله نشاط وحركة بالاضافة الى خبرته فيما أسند اليه من عمل جليل . هذا العمل الذي يتطور باطراد مع الأيـام تمشيا مع عجلة الأمة في سيرها الى غايتها المرتقبة .

قمت بزيارة الشيخ ابراهيم غلام مدير الشؤون الزراعية بالمدينة المنورة في مكتبه الرسمي بالمدينة . ولما عرف ما أرمي اليه من وراء هـذه الزيارة . لم يتردد في تقديم المساعدات التي هيأت لي كل ما كنت أرجو الاطلاع عليه ومكنتني من كتابة هذه السطور لقراء قافلة الزيت . ولم يكتف بالمساعدة بل صحبني بنفسه الى محطة الأبحاث الزراعية ومحطة تربية المواشي والدواجن . وعندما ترجلنا من سيارته أخذ يشرح لي ما قامت بـه وزارة الزراعة الممثلة في هذه المديرية من أبحاث تهدف الى توجيه المزارعين وارشادهم لمـا تتطلبه ظروفهم الزراعية . وهناك شاهدنا ما تقوم به المحطة من تجارب وأبحاث على الحبوب كالقمح والشعير لتحسين النوع أو ابداله بالأنسب . وعلى جميع أنواع بذور الخضروات المستوردة التي تقوم المديرية بتوزيع اشتالها على المزارعين لتعميم النفع . فقد وزعت المزرعة النموذجية ثمانين ألف شتلة باذنجان وستين الف شتلة طماطم وخمسين الف شتلة كرنب وثلاثين الف شتلة قرنبيط وثلاثين الف شتلة فليفلة (فلفل بارد) وخمسة وعشرين الف شتلة فلفل حار . هذا الى جانب ما تبيعه من أشجار الفاكهة المختلفة كالبرتقال والليمون والعنب بأنواعه والرمان والتين . كما تقوم بتزويد الراغبين في شراء الأشجار الحرجية وغير ذلك من أشجار الزينة وأشتال الزهور بالاضافة الى اجراء تجارب لمعرفة تأثير المبيدات على بعض الحشرات . كما يوجد في هذه المحطة قسم لصنع المراكن « الاصص » التي وزع منها عشرون ألف مركن خلال سنة ٨٣/٨٤ بلغت قيمتها (٤٣٣٥٢) ريالا .

قسم الأبقار

ويظهر هنا بجلاء اهتمام وزارة الزراعـة بمحاولة تحسين نسل الأبقار . فقد استوردت من هولندا المشهورة بجودة البقر فيها . قطيعا لهذا الغرض . وقد بلغت كمية الحليب المباعة لعام ٨٣/٨٤ (٣٧٩٥٠) كيلوغراما بالاضافة الى (٧٦٥٠) كيلوغراما استخدمت في صناعة الجبن والزبدة في المصنع التابع لهذا القسم . وبلغت قيمة الجميع (٢٩٣١٧) ريالا .


سعادة مدير الشؤون الزراعية في المدينة المنورة يتحدث الى أحد المرشدين الزراعيين .

قسم الدواجن

أما قسم الدواجن فقد تقدم تقدما مرموقا بفضل الجهود المبذولة لتكثير الانتاج وتحسينه بحيث صار لحم الدواجن في السوق أرخص من لحم الخراف . وقد بلغت الكمية المباعة من بيض الدجاج (٣٨٣١٧) بيضة ومن الفراخ (٣٩٢٤) ، وبلغت قيمة الجميع (٢٤٣٨١) ريالا خلال سنة ٨٣/٨٤ هـ. ويضم هذا القسم أنواعا من الدواجن منها :

١ – رومي برنز ٢ – بط بكيني ٣ – بط روان ٤ – دجاج لجهورن ٥ – دجاج فيومي . ٦ – دجاج « رود ايلند » ٧ – دجاج بلدي مديني ٨ – دجاج مديني محسن .


استخدام المبيدات من الخطوات الأساسية المتبعة لدى المديرية في مكافحة الحشرات .



بعض أنواع الأرانب التي تضمها محطة تربية الحيوانات ، ويبدو في الصورة سعادة مدير الشؤون الزراعية يتحدث الى اثنين من المسؤولين لدى المحطة نفسها .

جانب من المعدات والآلات التي تفي بأغراض المزارعين في منطقة المدينة المنورة .

قسم الأرانب

يوجد بقرب قسم الدواجن قسم لتربية الأرانب . وقد استوردت أنواع من الأرانب تفوق في حجمها الأرانب البلدية . ويضم هذا القسم : ١ – أرانب بوسكا جانيب ٢ – فلندر شينشلا ٣ – بلدي أبيض ٤ – بلدي أحمر ٥ – مديني أسود . وقد بيع من هذا القسم (٢١٦) أرنبا بلغت قيمتها (١٨٤٤) ريالا .

القسم البيطري

يشرف على هذا القسم طبيبان بيطريان . أحدهما يقيم في المحطة والآخر في المدينة . وهذا الأخير يقوم بمساعدة الأهلين بالاشراف على حيواناتهم ومعالجتها . وقد قام هذا القسم بتلقيح ثلاثة آلاف رأس من الغنم ضد الجدري ومعالجة (١٨٠٢) حالة مرض . كما قام بتحصين (٨٢٠٠) حالة بلقاح (النيوكاسل) من النوع العضلي . وعالج (١٧٠٠) من الحيوانات اللبونة من امراض باطنية . و (٤٢١١) من الطيور والأرانب مصابة بأمراض مختلفة . وأجرى (١٨) عملية جراحية . وعالج (٤٠) حالة لأبقار وماعز مصابة بأمراض العين . وأجرى (٨٢) حالة ولادة لأبقار وأغنام . وعالج (٤٢) حالة التهاب في الضرع . و (٨٠٠٠) اصابة بالطفيليات الداخلية . و (٤٠٠) حالة من الجرب . كما قام بمكافحة (٢٢٠٠) حالة من القمل بين الجمال والأبقار . و (٣٠٠٠) حالة بين الطيور .

قسم الوقاية

يوجد في هذا القسم أربع فرق مجهزة بأحدث الأجهزة لرش المزارع بالمواد المبيدة للحشرات باشراف اخصائيين . وتقدم هذه الخدمات للمزارعين بدون مقابل . وقد قام هذا القسم برش ما يقرب من ثلاثة عشر ألف شجرة من أشجار الفاكهة . وستمائة وأربعين دونما من المحاصيل الزراعية . وألف وثلاثمائة دونم من الخضر .

الإرشاد الزراعي

تضم محطة الأبحاث الزراعية بالمدينة مرشدين زراعيين مهمتهم التجوال في المزارع لارشاد المزارعين وتقديم المساعدة الممكنة . وقد طلب الي سعادة المدير أن أصحبه الى أحد الحقول للاستماع الى المرشدين أثناء العمل . وعند سماعي طريقة ارشادهم وسبل توجيههم نظريا وعمليا لمست الفائدة التي سيجنيها المزارعون منهم . وقد قام هذا القسم بانشاء اثني عشر حقلا زراعيا للموسم الشتوي موزعة في كل من (الجوف) و (بئر عثمان) و (العيون) و (طريق المطار) و (منطقة سيد الشهداء) و (قباء) و (العوالي) . كما وزع نشرات زراعية على المزارعين منها

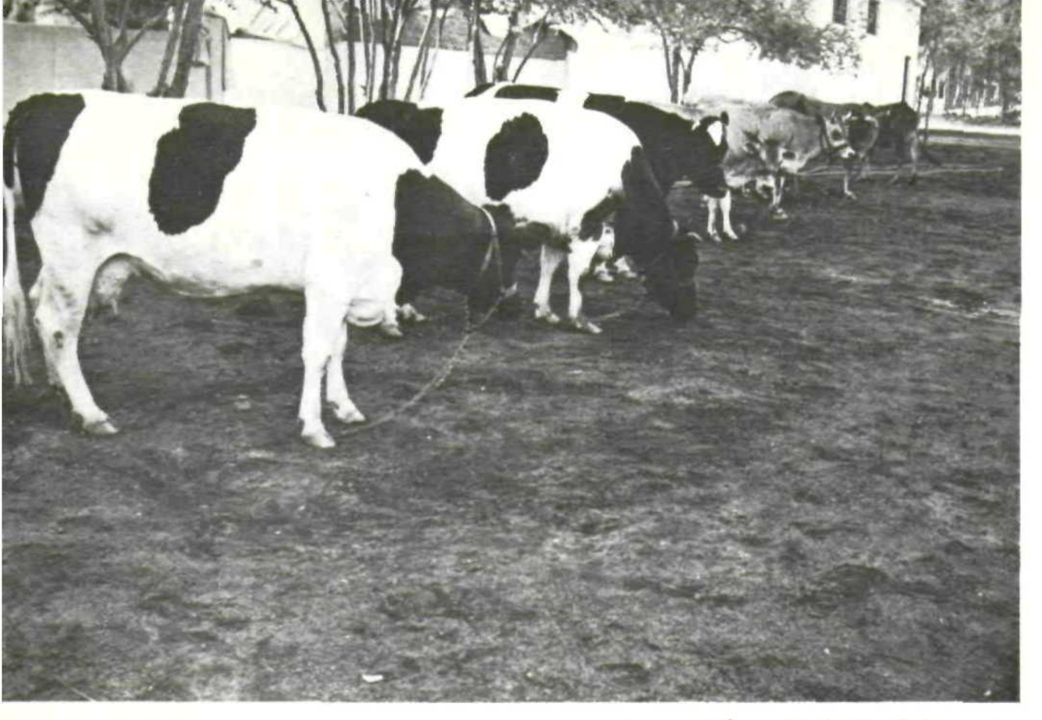
ما يبين الطرق الحديثة السليمة لزراعة النخيل والعنب والرمان والموالح . ومنها ما يبين طرق انشاء بساتين الفاكهة . هذا الى جانب قيام هذا القسم بعرض أفلام ارشادية كجزء من برنامجه الارشادي بوسائل الايضاح . وقد قام المرشدون الزراعيون بـ (٩٩١) زيارة استطلاعية خلال عام واحد .

الخدمات الآلية

الخدمة الآلية أساس بناء أية نهضة زراعية في أي بلد . ولذلك حرصت وزارة الزراعة على دعم مديرياتها ووحداتها بالآلات . فمديرية الشؤون الزراعية بالمدينة مسؤولة عن تقديم الخدمات الزراعية بكافة أنواعها الى مزارع تبلغ مساحتها أربعمائة وخمسين كيلومترا مربعا تقريبا وقد بلغت ساعات العمل التي عملت فيها الجرارات والمحاريث (١٠٤٥٦) ساعة شملت المدينة . والصلصة . والحناكية . والصويدرة . ووادي الصفرة . والمهد . وتيماء . وبلغت ايراداتها (٨٦٩٧٧) ريالا .

محطة ابحاث التمور

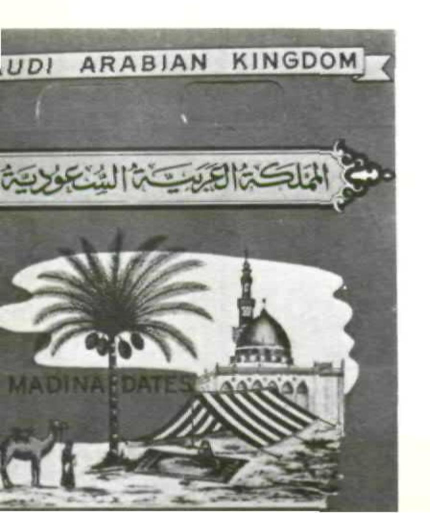
حين رأى سعادة الشيخ ابراهيم غلام انني اطلعت على ما أمكن الاطلاع عليه في محطة الأبحاث الزراعية وتربية الحيوانات والدواجن طلب الي أن أصحبه في سيارته . وكنت أظن انها ستقلنا الى حيث كنا أي الى المدينة . ولكن نقلتنا السيارة الى مصنع ضخم الا وهو محطة أبحاث التمور . وعند مدخله كان في استقبالنا الأستاذ عبد الجليل مرشد مساعد مدير الشؤون الزراعية بالمدينة والمشرف على هذه المحطة . صحبنا في تجوالنا في أقسام هذا المصنع شارحا لنا كل ما وددنا معرفته . كما قام باطلاعنا على عينات كثيرة من تمور المدينة المنورة التي أجريت عليها فحوص وتحليلات وعلى ما يقوم به المصنع من كبس تلك التمور وتعليبها بالطرق الحديثة لتسويقها . وقد تم تعبئة (١٠٤٨٩٤) رطلا من التمر خلال عام ٨٣/٨٤ كما أجريت التجارب على صناعة الدبس ومربى البلح . وفي الحقيقة انه لمصنع يسترعي الانتباه ويستحق التقدير والاعجاب من حيث أنه يعد تمور المدينة بطريقة صحية وحديثة تجعلها مقبولة لدى الوافدين من أنحاء العالم .



تضم المحطة بالمدينة المنورة أنواعا مختلفة من الأبقار ، ويبدو هنا عدد من الأبقار ذات النوع المعروف بـ « فريزيان » .



بعض الأبقار وقد انطلقت من حظائرها لتمرح وتسرح في أحد المراعي الخضراء .



تصوير : أحمد منتاخ

ترجمة الشعر

بقلم : الاستاذ محمد عبد الغني حسن

يرى بعضهم أن الشعر العربي إذا ترجم أو نقل الى لغة أخرى تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب.

ويرى آخرون أن في حظر ترجمة الشعر حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب ألا نحجر عليها.

لاحظ الجاحظ في الجزء الأول من كتابه العظيم « الحيوان » أن طائفة من كتب الهند نقلت الى العربية ، وكذلك حكمة اليونان وفلسفتهم ،وآداب الفرس ،فزادتها الترجمة حسنا، ولم تنقصها شيئا من قيمتها . وأما حكمة العرب – وهي الشعر الذي يرى الجاحظ فضيلته مقصورة على العرب – فلا يستطاع – في رأيه – أن يترجم ولا يجوز عليه النقل الى لغة أخرى . ومتى حول تقطّـع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب ...

وحظرُ ترجمة الشعر والذهاب الى عدم جواز نقله هو اعسار لعملية كان يجب أن يمهد لها بالتيسير على أسهل الوجوه ... وهو في الوقت نفسه حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب أن لا يحجر عليها ويقضى فيها بعدم النقل . ولو كان العرب – بعد عهد الجاحظ ببعيد – قد ذهبوا مذهبه في ترجمة الشعر لذهب كثير من الروائع الشعرية التي ترجمت الى العربية فكانت عملا أدبيا عظيما .

وماذا يكون الظن لو أن الياذة هوميروس لم تهيأ لهـا قدرة سليمان البستاني وشاعريته وذوقه ليخرجها الى لسان العرب في أحد عشر ألف بيت ؟

وماذا يكون الشأن كذلك لو أن أدباءنا تهيبوا ترجمة أشعار شكسبير استنادا الى صعوبة ترجمة الشعر في لغة أخرى . سواء أكانت تلك الترجمة شعرا أم نثرا ؟ ألم يكن في هذا تضييق لنطاق شكسبير من العالمية الفسيحة الرحاب الى المحلية الضيقة الجناب ؟ فمن الصعب – بـل من المستحيل – أن تقسر الناس جميعا على أن يتعلموا الانجليزية – مثلا – ليقرأوا شكسبير في لغته هو ، لا منقولا الى لغتهم . أو أن يتعلموا الفرنسية – مثلا – ليستطيعوا أن يقرأوا لامارتين في لسانه هو ، لا مترجما الى ألسنتهم .

ومن العجيب أن العرب في الحديث قد تحاموا ترجمة الشعر اليوناني والروماني بما فيه من الالياذة والأوديسة والانيادة الرومانية – كما تحاماه العرب القدماء قبلهم في عصر الترجمة والنقل أيام العباسيين . حتى ذوو الميول الأدبية من أمثال رفاعة رافع الطهطاوي . والسيد صالح مجدي . والشيخ نجيب الحداد . لم يتجهوا ناحية الشعر ولا قاربوا محرابه ... الا ما كان من ترجمة محمد عثمان جلال لحكايات لافونتين الفرنسي المنقولة عن أصل يوناني لأيوب في كتاب أسماه « العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ » وترجمها الرجل شعرا عربيا بالفصحى أحيانا كثيرة . وبالعامية بعض الحين ...

وكانت أولى المحاولات الحديثة في ترجمة الشعر الأعجمي الى العربية هي ما صنعه جبرائيل مخلع الدمشقي المتوفى سنة ١٨٥١م . من ترجمة « كلستان الفارسي » الى العربية .ترجمة جمع فيها بين الشعر والنثر . ثم جاء في أعقابه بقليل سليمان البستاني (١٨٥٦ – ١٩٢٥)فنقل الياذة هوميروس الى العربية نقلا راعى فيه الدقة . وحافظ على ظلال المعاني . وزوده بالشروح الضافية والتعليقات المفيدة وصنع له مقدمة طويلة هي في ذاتها كتاب آخر . فقد بلغت صفحاتها المائتين ... (١)

١ – ظهرت ترجمة سليمان البستاني للالياذة سنة ١٩٠٤

وظلت هذه المحاولات الفردية الضئيلة جدا الى أن جاء وديع البستاني فأقدم على أولى المحاولات لترجمة رباعيات الخيام سنة ١٩١٢ .

ويرى بعض النقاد المحدثين (٢) أن في الشعر من الفنية الخاصة ما يجعل في نقله مشقة وتضحية بالوقت تحولان دون التوفر على ترجمته . ويرى بعضهم (٣) ان صعوبة الترجمة ، بل استحالتها تظهر في محاولة نقل الشعر من لغة الى أخرى .

والحق ان المشقة التي يصادفها المترجم في نقل الشعر وترجمته من لغة الى أخرى هي التي ضيقت مجال الترجمة للشعر . ففي ترجمة النثر منادح واسعة . على أن هذه المشقة لم تمنع من ترجمة الشعر في جميع لغات العالم ومن التجويد فيها على الرغم من عنائها . وتشهد الترجمات العالمية للشعر على صحة هذا القول أما القول باستحالـــة ترجمة الشعر فهو قول ينقضه الواقع . وينقضه ما ظهر من ترجمات شعرية رائعة وقريبة جدا من الدقة لروائع التراث اليوناني مثلا . فقد ظفرت الألياذة والأوديسة لهوميروس بترجمات عدة الى اللغة الانجليزية منهـــا ترجمات « بـــوب » و « تشابمان » و « وليم كوبر » . ولم يمنع ذلك من ظهور ترجمات خمس جديدة لها كتب لها التوفيق جميعا . وأعلاها هي ترجمة « ريتشموند لاتيمور » التي أصدرتها مطبعة جامعة شيكاغو . وقد أعد « لاتيمور » نفسه لهذا العمل العظيم سنوات طوالا — كما أعد البستاني نفسه لترجمة الألياذة — واستطاع بذوقه الرفيع . وحسه المرهف . وعدوله عن المقياس الشعري الأنجليزي المعتاد ذي الضربات الخمس الى مقياس أرحب وأكثر ليونة . أن ينقل كل ما أراد هوميروس من أضواء المعاني وظلالها .

ويذهب جرجي زيدان مذهبا آخر في التعليل لأحجام العرب عن ترجمة أشعار القدماء . فليس ذلك لصعوبة النقل أو مشقة الترجمة . ولكنهم أحجموا عن ذلك اكتفاء بشاعريتهم (٤) . فالعرب في عصر الترجمة والنقل لم يكونوا بحاجة الى نقل الشعر الأجنبي . ففي شعرهم غناء عن ذلك كله . وهل تطرب الأذن العربية لشعر — مهما كان قدره وقيمته — بعد ما ألفت سماع شعر امرىء القيس ، والنابغة . وزهير . والأعشى في الجاهلية . وجرير ، والفرزدق . والأخطل . وعمر بن أبي ربيعة . وكثيّر عزة في العصر الأموي . وبشار ، وأبي تمام . ومسلم ابن الوليد . وعلي بن الجهم . والعباس بن الأحنف في صدر العصر العباسي ؟

على أن النقلة والمترجمين أيام المهدي والمأمون لو كانوا عربا . أو كانوا شعراء . لما أحجموا عن ترجمة الشعر اليوناني والروماني والفارسي . ولكنهم كانوا من نصارى السريان ولم تكن لهم ميول أدبية . ولم يكن الشعر بضاعتهم . ولم تكن العربية لغة سليمة عندهم . وقد بان الاضطراب والفساد في كثير من ترجماتهم للفلسفة والمنطق . فكيف يتجهون الى نقل الشعر . أو كيف يحسنون ترجمته لو أقبلوا عليها ؟

وأغلب الظن — من ناحية أخرى — أن شعراء العرب أنفسهم لو كانوا يعرفون لغات الأعاجم في عصر الترجمة لما أحجموا عن النزول الى هذا الميدان .

ولقد كان من الممكن أن ينقل المترجمون من السريان أشعار اليونان الى النثر العربي بدلا من الشعر . ولعل الذي صرفهم عن ذلك أنهم كانوا موقنين بأن الشعر اذا ترجم نثرا ذهب بهاؤه . وضاع رواؤه . وبهت رونقه ... كما ذهب الى ذلك سليمان البستاني مترجم الألياذة .

ولقد وجدنا من أدبائنا المعاصرين والمحدثين من ذهب الى ترجمة الشعر نثرا ، ايمانا منهم بأن الوزن ليس كل شيء في الترجمة . وان المهم هو الأمانة في نقل المعاني والصور والخيال . مـــع المحافظة على « الروح » في الأثر المنقول .

وينادي بعض مفكرينا بضرورة أن يكون مترجم الشعر وناقله شاعرا . أو أن تكون عنده ملكة الشعر . ولكن بعض أدبائنا أسهموا في حركة ترجمة الشعر الأجنبي بلغة النثر . فهذا الشاعر خليل مطران قـــد قام — على الرغم من مقدرته الشعرية — بترجمة طائفة من مسرحيات شكسبير نثرا . ولعله لم يكن عاجزا عن الترجمة لها شعرا . كما ترجم البستاني قبله الألياذة . ولعل مطران قد تحرج من الشعر المسرحي حين يلقى عـــلى خشبة المسرح حوارا بين شخصيات متعددة . لعدم ألفة الأذن العربية المرتادة المسارح للشعر بوزنه المعروف . أو لعله قد تحرج من ترجمة شكسبير شعرا لاعتبارات فنية قوية . كأسلوب شكسبير الذي لا تجد فيه كلمة زائدة . أو عبارة محشوة أو فكرة مقتحمة يمكن اسقاطها . فخاف أن تفسد الترجمة الشعرية ذلك الجلال والجمال . والترابط والسلاسة . ووجد في النثر مندوحة ومنصرفا أحسن وأسلم للترجمة . ومع ذلك لم تسلم ترجماته النثرية من النقد ومن رميها بالزيادة حينا وبالحذف بعض الحين . كما أوضح ذلك ميخائيل نعيمة في كتابه : « الغربال » .

ولقد خطا الأستاذ فريد أبو حديد خطوة وسطا بترجمة « مكبث » في شعر مرسل . وحاول — كما يقول في مقدمته — ان « يتقمص » روح شكسبير قدر استطاعته . ومسألة « تقمص » روح الشاعر المنقول عنه وشخصيته قضية يكاد يتفق عليها أكثر أدبائنا . فالناقد علي أدهم يشترط هذا « التقمص » . والدكتور عبد الحميد يونس يشترط شروطا على كل من يتصدى لترجمة الشعر . ويجعل أحد هذه الشروط (ان يتقمص شخصية الشاعر الذي ينقل عنه « ٥ ») .

وليس بضائر أن يترجم الشعر نثرا ما دامت معانيه وظلالها وروح الشاعر مؤداة على اضبط وجوهها . الا أن الشعر أليق بالشعر في الترجمة للمحافظة على الموسيقى التي راعاها الشاعر المنقول عنه .

واذا كان شكسبير قد ترجم الى نثر عربي في كل مسرحياته . فان ألياذة هوميروس قـــد بدىء تعريبها شعرا . ثم تناولها المترجمون بالنثر بعد ذلك . بما فعله في هذا السبيل المرحوم دريني حشبة . والسيدة عنبرة سلام الخالدي .

ومن الآثار الشعرية الرائعة التي تعاورهـــا المترجمون العرب بين الشعر والنثر : رباعيات الخيام . فكان وديع البستاني الرائد الأول في ترجمتها شعرا . وجاء محمد السباعي فنقلها شعرا كذلك . وتعاقب بعدهما الشعراء محمد الهاشمي العراقي . وأحمد رامي . وأحمد الصافي النجفي . وأحمد زكي أبو شادي . وعبد الحق فاضل الشاعر العراقي فنقلوها شعرا عربيا . وقرن الشاعر

---

٢ — الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث — للاستاذ انيس المقدسي.   ٣ — الاستاذ علي أدهم . من مقال له في «قافلة الزيت» عدد ربيع الاول ١٣٨٤.
٤ — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ . ص٢٠٨ .   ٥ — مجلة الرسالة — عدد ٢١ يناير ١٩٦٥ .

جميل صدقي الزهاوي بين النثر والنظم في ترجمته ، واستقل الأديب العراقي أحمد حامد الصراف بترجمتها نثرا . ووضع الترجمة النثرية لكل رباعية عقب ايرادها مطبوعة باللغة الفارسية . كما ترجمها الأديب توفيق مفرج الى نثر شعري . أو شعر منثور ...

وقد يقع مترجمون على أثر شعري واحد لينقلوه شعرا أو نثرا ، كما حدث في قصيدة « البحيرة » للامارتين . فقد ترجمها الأستاذ احمد حسن الزيات نثرا ، وترجمها شعرا الشعراء : علي محمود طه . ونقولا فياض . وابراهيم ناجي .

ويذكر لنا الشاعر العوضي الوكيل أن قصيدة « الخريف » للشاعر الفرنسي فرلين . قد أخفق كثير ممن تقدموا لترجمتها شعرا (لا لأنهم لا يعرفون معاني القصيدة . ولا لأنهم لا يدركون الأساليب العربية التي تعبر عن هذه المعاني . وانما لأن جو القصيدة جو عال جدا . وموسيقاها عميقة التأثير جدا . فهم معذورون (٦) . وقد تقدم هو لترجمتها شعرا في بضعة أبيات ..)

وقد كثرت ترجمة الآثار والقصائد المتفرقة الى العربية أخيرا . وأقبل الأدباء على نقلها . ومن رواد هذا الميدان العقاد . والمازني . وعبد الرحمن شكري . أما الأثر الشعري الكامل — كديوان بأكمله لشاعر معين . أو كمسرحية كاملة — فهذا قليل . وقد شارك في هذا الشاعر كمال الدين الحناوي بترجمته ديوان « أحزان المساء » لروبرت بروك الى العربية شعرا .

وقد اضطر مترجمنا الى التصرف أحيانا . كما يلاحظ بالمقارنة بين الترجمة العربية والأصل الانجليزي المنشور في مقابلها . ولم يفت المرحوم عباس محمود العقاد أن يشير الى هذا التصرف في تقديمه للترجمة قائلا : (فالقدرة على نقل الشعر بقليل من التصرف في معانيه الجوهرية قد تمكنت من قريحة الأستاذ الحناوي . وتمكنت معها ملكة التعبير والتخيل . فاستطاع أن يعطي ظلال المعاني حقها . الى جانب المعاني الواضحة التي تمتلىء بها ألفاظها . فلا تصعب ترجمتها بمثل ألفاظها من الوضوح . وبمثل عباراتها في الدلالة البينة . واستطاع أن يعوض الظلال الخفية بالاشباع والاطناب عند صعوبة التوافق بين تعبيرات العربية وتعبيرات روبرت بروك الانجليزي .)

ويرى الدكتور عبد الحميد يونس أن موسيقى الشعر هي العقدة الأساسية في مشكلة ترجمته . فلكل شعب من الشعوب موسيقاه اللغوية التي تحكي مزاجه وثقافته وطبقته حكايتها لأصله ومواريثه . كما توجد أيضا موسيقى لغوية لكل شخصية . بل بكل موقف انساني تواجهه هذه الشخصية . فالموسيقى — اذن — ليست مخرجا من المخارج . وليست ضم حرف من حروف الهجاء الى آخر . وليست كلمة تنظمها عبارة . ولكنها الطابع الانساني العام أولا والطابع القومي ثانيا . والمضمون الثقافي ثالثا . وشخصية الشاعر وموقفه بعد ذلك . ومن هنا كان لزاما على كل من يتصدى لنقل الشعر من لغة الى أخرى أن يدرك الفوارق بين موسيقى اللغة المنقول منها ، واللغة المنقول اليها ..

ولا شك أن هذا المطلب العسير المنال الذي جعله الدكتور عبد الحميد يونس لزاما على كل من يترجم الشعر قد زادت به المشكلة تعقيدا . وان كان مترجمو الشعر ماضين في الطريق على ضوء من خبراتهم ومن الآراء المختلفة في هذا الموضوع ...

(٦) أعلام الشعر الفرنسي — للعوضي الوكيل بالاشتراك مع السيدة س . عبد الرازق صبري — القاهرة سنة ١٩٤٥

حاول أن تجيب

— ١ —

في عهد أي من الملوك والخلفاء بنيت القصور الآتية ؟

أ — قصر الرصافة .
ب — قصر الحمراء .
ج — قصر الخلد .

— ٢ —

أين تقع كل من المرافىء الآتية ؟

أ — مرفأ أزمور .
ب — مرفأ باماكو .
ج — مرفأ ملبورن .

— ٣ —

أ — من هو العالم الأمريكي الذي اكتشف الكورتزون ؟
ب — من هو الفيزيائي الانكليزي الذي اكتشف « النترون » وأفرده ؟
ج — من هو العالم الالماني الذي اكتشف الموجات الكهربائية ؟

— ٤ —

من هو مؤلف كل من الكتب التالية :

أ — شعراء نجد المعاصرون ؟
ب — أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ؟
ج — تاريخ مدينة جدة ؟

الاجوبة على الصفحة ٤٥



وصفوها

للشاعر: احمد قنديل

وصفوهـا بأبـدعِ الوصفِ حـتّى ... خِلتُ انـي عرَفتُهـا .. مِن قَديمِ
والتقَينـا معـا .. فألفيْتُ قلـبي ... مُستديماً .. في عُشّهِ المُستَديم
شاريـاً بالهوَى القديـمِ .. جديـداً ... بَينَ معنىً غـالٍ .. وغـالٍ كريمِ
فاستعادتْ بـه .. حكايـةَ حُـبٍّ ... واستزادَت بِنـا .. غرامَ غريـمِ
وأسرّتْ إليّ .. أنـا عـرَفنَـا ... كَ مُقيماً .. مذْ كُنتَ غيرَ مُقيمَ
قُلـتُ : حَسبِي رِضَاك . قالتْ رِضاءً ... أنتَ منّا – كمَا ترى – في الصّميمِ !..

«ولكنّي بدونكَ بعضُ ذكرى»

أعِرْني من شَبابكَ يـا حَبـيبي ... حَياةً .. أستَعيدُ بِهـا شَبابي
فَمـا فَنِيَتْ دوافِعُـه بِنَفسـي ... ولا بَرِحَتْ نوازعُـهُ صَوابي
وإنّـي فوقَ أحـداث اللّيـالـي ... جديدُ العُمْـرِ موصولُ الرّغـابِ
وَلكنّي بِدونِـك بعضُ ذِكـرى ... وَفَضْل صبَابةٍ .. وَصدىَ عذَاب!..



مقر الورش المجمعة في الظهران ، وهي عصب الصيانة لمختلف معدات أرامكو . ويقع في الركن الجنوبي منها ورشة اصلاح الأدوات والآلات .

صيانة الآلات في ارامكو

على مقربة من بوابة الظهران الرئيسية ، وفي وسط ندحة مستوية الأطراف ، تكبر رقعتها مساحة ميدان كرة القدم ، يتربع مبنى ضخم ذو أقسام متعددة يفصلها عن بعضها البعض أعمدة من الصلب ويضاهي ارتفاعه علو بناية مكونة من ثلاثة طوابق وبين جدران هذا المبنى الضخم ، الذي يحمل اسم « الورش المجمعة » ، والذي يعتبر عصب الصيانة في منطقة الظهران وغيرها من المناطق القاصية ، يجري اصلاح كل صغيرة وكبيرة من مختلف الآلات والأدوات والأجهزة والمعدات والمحركات ، التي يعول عليها في انجاز جل أعمال الشركة الانشائية والهندسية والمكتبية ، والتي يتعذر بدونها بلوغ الدقة والاتقان في مجالي التخطيط والانجاز .

ولعل ما يستقطب اهتمام الزائر لمقر الورش المجمعة ، التصميم الهندسي المنسق الذي يتمثل في اجزائها ، وضخامة الأجهزة والآلات التي يستعان بها في انجاز عمليات الصيانة والاصلاح ، وكذلك طابع التنسيق الذي يتسم به كل قسم وفق طبيعة الأعمال المنوطة به .

وتحت سقف هذه الورش المجمعة التي تضم بين ارجائها زهاء ٧٠٠ موظف فني ، جلهم من العرب السعوديين . . يجرى على نطاق واسع أعمال فنية شتى كالسباكة ، واللحام ، والخراطة ،

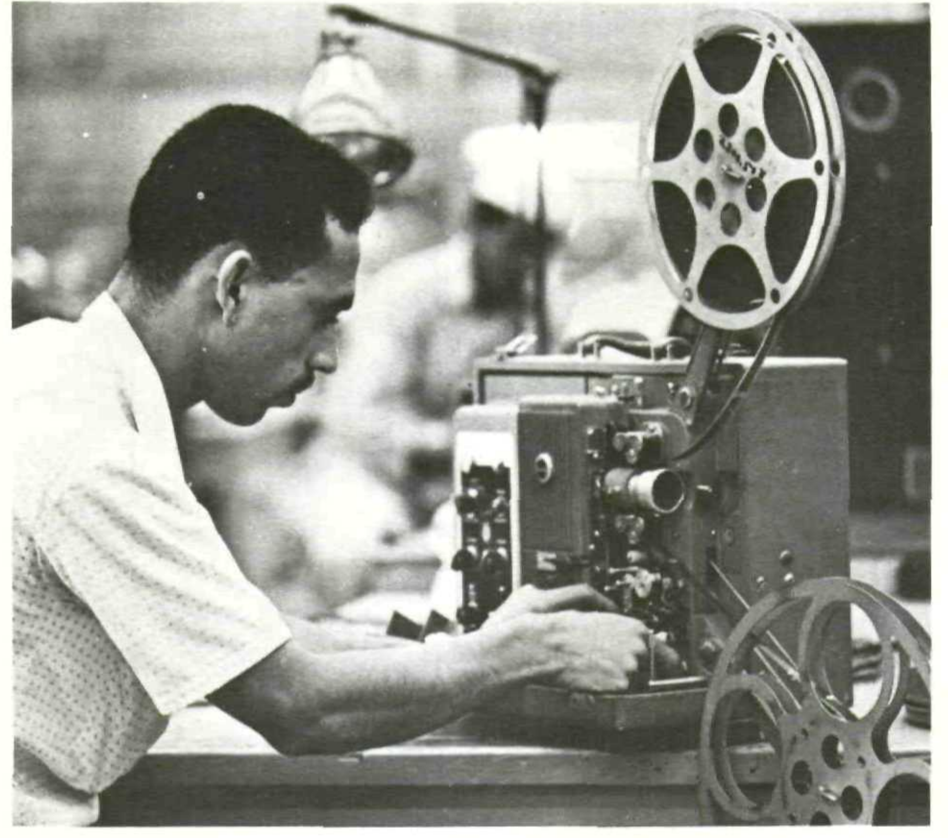




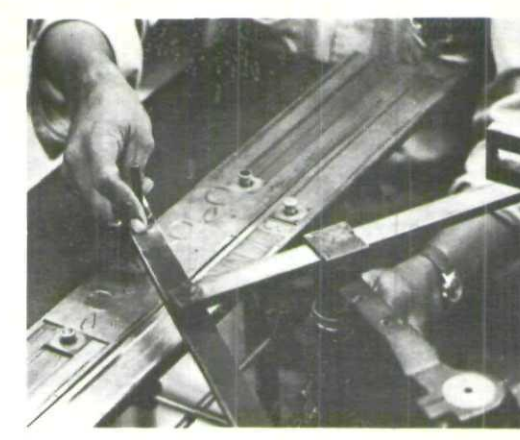
السيد علي خليفة من قسم اصلاح آلات المكاتب يعيد تركيب أجزاء آلة حاسبة بعد اصلاح الخلل فيها.

والكهرباء . الى غير ذلك من عشرات الأعمال الفنية والهندسية القمينة بتأمين مراحل سير العمل في مختلف مرافق الشركة ومنشآتها في شكل يتفق الى حد كبير وبرامج التخطيط المرسومة .

وورشة اصلاح الأدوات وآلات المكاتب ، التي تقع في الركن الجنوبي من مبنى الورش . والتي هي مدار حديثنا في هذا المقال . تستأثر بحيز بارز من الصيانة في أرامكو . وخلال زيارة استطلاعية قمت بها مؤخرا لأقسام هذه الورشة . لاحظت مجموعات مختلفة من الآلات الكاتبة والحاسبة . واجهزة النسخ التصويري . والعرض السينمائي ، وساعات الضبط والتوقيت والمراقبة وغير ذلك من عشرات الآلات المكتبية الأخرى . قد أخذت مكانها فوق المناضد . بينما كانت الأيدي الفنية منهمكة في تفحص الأجزاء المعتلة منها واصلاح العطب أو الخلل اللاحق بها . وفيما أنا في تجوالي بين أرجاء قسم الآلات . استوقفتني آلة دقيقة حساسة أثارت تساؤلي . ولدى استفساري عن نوعها وطبيعة عملها تبين لي أنها ساعة من نوع خاص تركب عادة على أحد الأجهزة الخاصة بأخذ العينات ومقدار الضغوط في قيعان آبار الزيت . لاجراء الفحوص والتحاليل



السيد مطر خليفة يتفقد الأجزاء المعتلة في آلة عرض سينمائي قبل الشروع في اصلاحها .

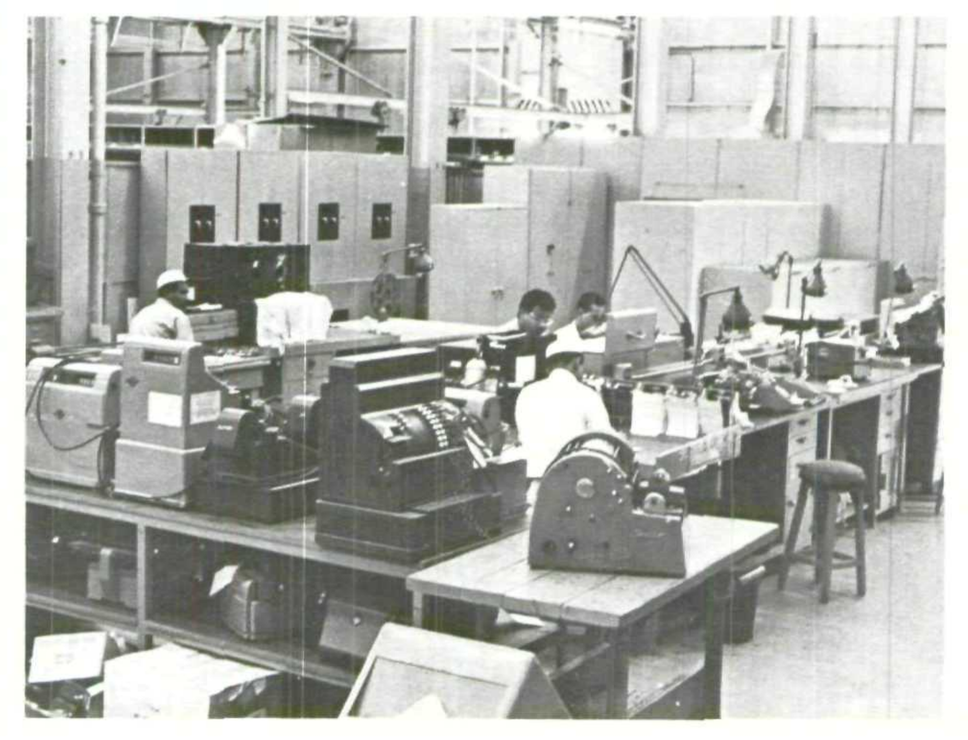


كتابة لوحات الأسماء بطريقة السكب أو الحفر من الأعمال المنوطة بورشة الآلات . وها هو السيد حسين محمد يحفر اسما على احدى اللوحات المعدنية بواسطة آلة خاصة .

السيد ابراهيم عبد الرحمن ، فني في اصلاح الساعات ،منهمك في تفحص الأجزاء الداخلية الدقيقة لاحدى الساعات المستخدمة في مكاتب أرامكو .



لفيف من الموظفين العرب السعوديين ، لدى قسم اصلاح الأدوات وآلات المكاتب ، أثناء قيامهم ببعض واجباتهم اليومية .



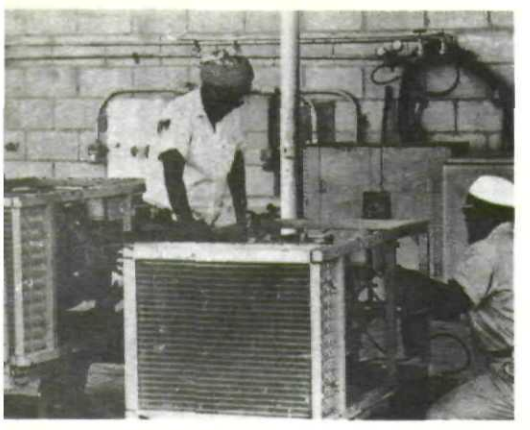
التي يعتمد عليها مهندسو الزيت والانتاج في دراسة معالم مكان الزيت ووضع البرامج الفنية الرامية الى تطويرها . ومن بين الآلات والأدوات الأخرى التي شاهدتها إبّان زيارتي الاستطلاعية لورشة اصلاح آلات المكاتب والأدوات — مجموعات مختلفة من العدادات ، وأجهزة القياس . والمبخرات «كاربوريتور» . ومحقنات الوقود . والصمامات . ومنظمات توزيع التيار الكهربائي الى أجزاء التشغيل في محركات الديزل والبنزين . الى غير ذلك من الآلات والأجهزة وصمامات ضبط الزيت والغاز والبخار .

وتتم مراحل الاصلاح في هذا القسم وفق تعليمات وارشادات معينة يقوم مراقب القسم بتوزيعها على المسؤولين المباشرين عن الفروع التابعة للقسم . وطبقا لما تتضمنه طلبات العمل المصادق عليها من ادارة الورش والصيانة .

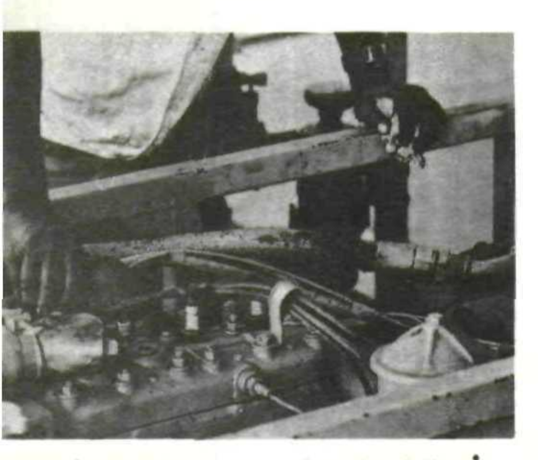
وهذه الآلات والأدوات بأنواعها الكثيرة المتعددة يتولى زمام أمر اصلاحها وصيانتها فروع أربعة

جانب من قسم اصلاح الأدوات حيث يجري اصلاح محقنات الوقود الخاصة بمحركات الديزل والبنزين ، وملحقاتها .





ثلاثة من الموظفين العرب السعوديين ، لدى قسم التبريد ، يجرون الاصلاحات اللازمة لوحدتين من وحدات التبريد المتنقلة الخاصة بحفظ الأطعمة المثلجة.



أحد الموظفين العرب السعوديين يقوم باصلاح محرك احدى وحدات التبريد المتنقلة .

هي : فرع الآلات الخاصة بحقن الوقود في محركات الديزل وتوابعها ، وفرع آلات المكاتب ، وفرع الأدوات الطبية وما شابهها ، ثم فرع الساعات الخاصة بالضبط والمراقبة .

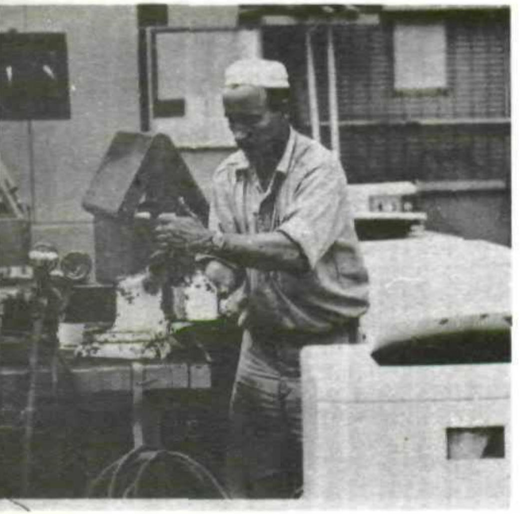
بالاضافة الى قسم اصلاح الأدوات وآلات المكاتب ، يوجد قسم آخر لا يقل شأنا عن سالفه ، هو قسم التبريد . وتقتصر مهام عمله على اصلاح الثلاجات ، والأفران الكهربائية والغازية ، والغسالات ومبردات ماء الشرب ، ومكيفات الهواء التابعة لأحياء السكن ، وعربات التبريد المتنقلة الخاصة بحفظ الأطعمة المبردة الضرورية للمهندسين الجيولوجيين وفرق التنقيب أثناء قيامهم بمهام عملهم عبر الصحراء وفي المناطق القاصية النائية . وتتوزع الأعمال الاصلاحية في هذا القسم على فروع أربعة ، كل منها يضطلع باصلاح نوع معين من أجهزة التبريد والتكييف والطبخ المختلفة .

ويعمل لدى قسمي آلات المكاتب والتبريد قرابة ٤٠ موظفا من العرب السعوديين ، من بينهم مشرف وآخر قد ابتعثته ادارة الورش والصيانة خارج المملكة للتخصص مدة سنتين في اعمال التبريد. كما أن هناك ستة عشر موظفا آخرين ما زالوا يتلقون تدريبا في الحقلين النظري والعملي ، لدى ورش التدريب الصناعي الواقعة ضمن مقر الورش المجمعة في الظهران ،ليتسنى لهم فيما بعد القيام بواجبات عملهم الفني على الوجه الأكمل.

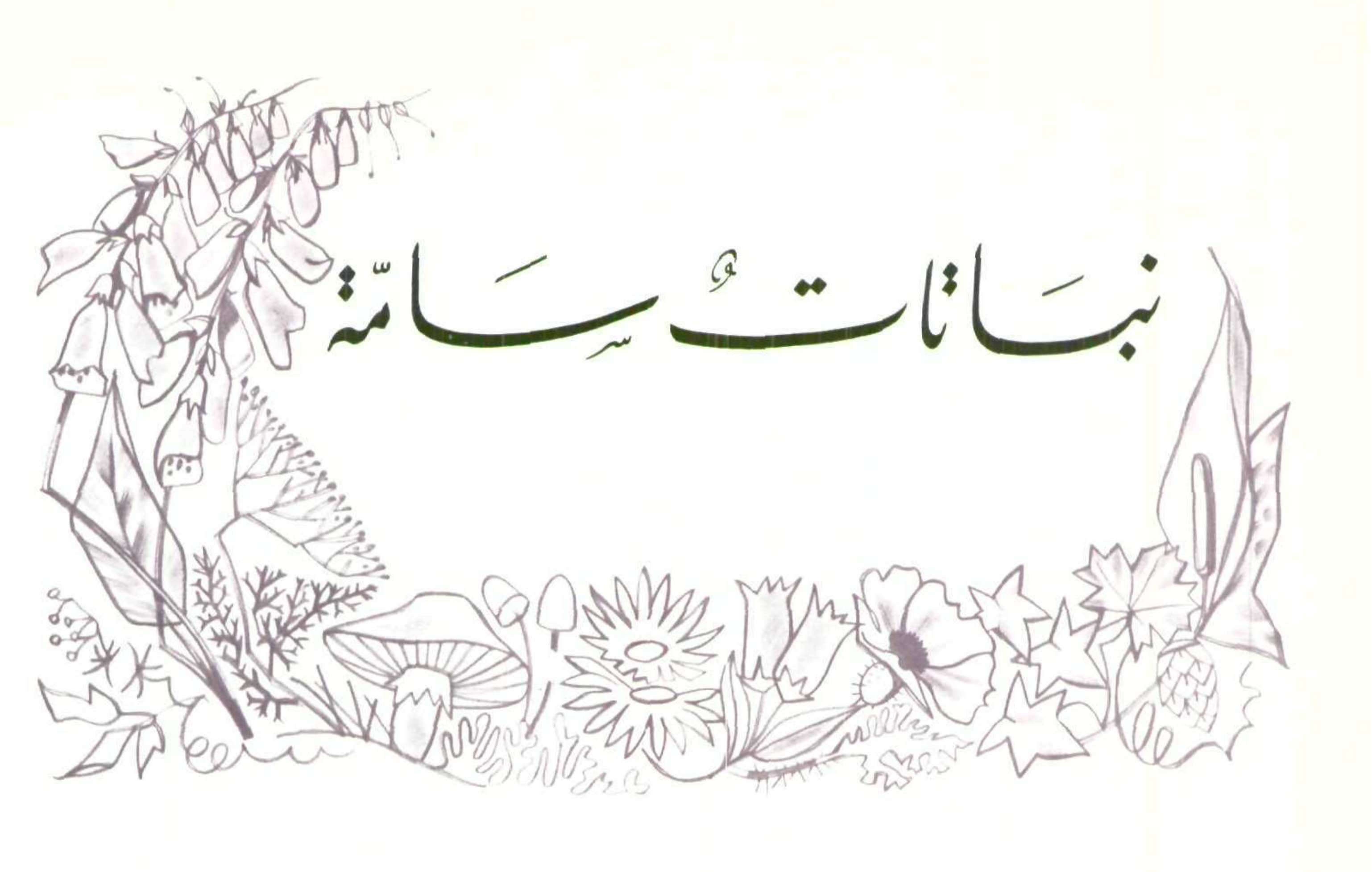
والجدير بالذكر انه ما من أداة او جهاز أو الة ترد الى الورش المجمعة بغية الاصلاح أو الصيانة الا ويجب ان تمر بالادارة العامة للورش للمصادقة عليها وتحديد الاعمال الاصلاحية المراد انجازها وهكذا ...

عوني ابو كشك

أحد فنيّي قسم التبريد يجري بعض الاصلاحات الضرورية لاحدى الغسالات التابعة لادارة خدمات أحياء السكن .



تصوير : أحمد منتاخ



نباتات سامة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

هذه النباتات الخضر . التي تكسو سطح الأرض . سهلها وجبلها . والتي يعتمد عليها الانسان اعتمادا كليا في غذائه . سواء كان ذلك الطريق مباشر أو غير مباشر . بمعنى أنه يغتذى بها أو بحيوانات تعتمد عليها في غذائها . لقد عرف الانسان منذ ظهر على الأرض فضل هذه النباتات وقدرها . فعني بها . وتعهدها بالتكثير والزرع . ثم بالانتخاب والانتقاء والتهجين بين السلالات . حتى غدت تنتج من المحاصيل والثمار والغلات والفاكهة والخضروات . ما يكفي حاجة الناس . بل وما يقابل الزيادة المطردة في أعدادهم .

على أن الانسان قد عرف بفطرته كذلك . منذ نشأ على الأرض . ودب على ظهرها أن لبعض هذه النباتات سواء كانت شجرية أو عشبية . زهرية أو لا زهرية . خصائص أخرى . لأنها تحوي مواد معينة . هي ما نسميه بالجواهر الفعالة . قد تكون ذات قيمة علاجية . فاستعملها لعلاج بعض الأمراض . محققا قول القائل « ان الله الذي خلق الداء . خلق الدواء . وان من بين ما تنبت الأرض من نبات . ما يصلح في علاج بعض الأمراض » .

عرفت الحضارات الهندية والصينية والآشورية والبابلية والفرعونية والأغريقية والرومانية والعربية القديمة . عرفت هذه الحضارات جميعها أهمية ما يعرف بالنباتات الطبية وخصائصها العلاجية . وطريقة تحضير العقاقير النافعة منها . وفي أوراق « البردى » المصرية . ما يدل على أن المصريين القدماء . استعملوا نباتات بعينها مما ينبت في وادي النيل لعلاج بعض الأمراض .

وفي العصر الأغريقي . ظهر عدد من العلماء اهتم بدراسة النباتات التي تتخذ منها العقاقير . ومن هؤلاء أبقراط وفيثاغورس وثيوقراط . ثم ديسقوريدوس وجالينوس وبليني من العصر الاسكندري . وعن هؤلاء نقل العلماء العرب وأضافوا الكثير مما لم يكن معروفا عند هؤلاء وأولئك من أمثال ابن سينا . والرازي . والبغدادي . والقزويني . والغافقي . وابن الهيثم . والبيروني . وابن البيطار . وداود الانطاكي .

ومن المعروف أن هذه الجواهر الفعّالة التي تميز هذه النباتات . ان هي الا مواد كيماوية معينة . تصلح في العلاج بشرط أن تؤخذ بمقادير قليلة من حالات مرضية معينة ، وان يحسن اعدادها . أما اذا أخذت بمقادير كبيرة . فقد تكون سما ناقعا . يجلب الموت والدمار ، بدلا من الصحة والشفاء .

وتوجد هذه المواد ذات التأثير الفعّال . مختزنة في بعض أنسجة النبات وأعضائه . كالجذور والبذور أو الخشب أو القلف (١) أو الأوراق . وقد يقوم النبات بافراز هذه المواد وتكوينها . ليستفيد هو منها على نحو أو آخر . أو تكون فضلات أو نواتج عمليات معينة . ولهذه المواد تأثيرات خاصة على جسم الانسان أو بعض أعضائه وأنسجته . ومنها ما يكون هاضما أو قابضا أو مسهلا أو منشطا أو مقويا . بشرط ان تكون المقادير محدودة . والا كانت سما زعافا . ولذا تلزم الحيطة في استعمالها . على أن هناك نباتات أخرى سامة أصلا . وتكفي مقادير قليلة منها لكي تودي بحياة الكائن الحي ، انسانا كان أو حيوانا أو نباتا آخر .

(١) القلف هو القشر من الشجر

وقد جهد العلماء في وصف هذه النباتات وتمييز النافع منها والضار ، ووضعت الدول من القوانين مايحرم زراعة بعضها ، وما يحد طريقة استعمال بعضها الآخر ، حتى لا يساء استعمالها فتكون سمّاً قاتلا . وينص صراحة في دساتير الأدوية على خطرها وخطر استعمالها الا بأمر الطبيب وتحت اشرافه ، اذا كانت من النباتات الطبية التي تستعمل خلاصاتها في العلاج أو التخدير أو ما أشبه من أغراض .

وليس من السهل الأحاطة بجميع هذه النباتات العلاجية أو السامة ، اذ انها في الواقع أكثر من أن يحصيها العد في مثل هذا المقام . وقد حرص العلماء على تصنيفها بطريقة أو أخرى حتى تسهل دراستها ، فمنهم من صنفها حسب الأعضاء النباتية التي يستخلص منها العقار أو المادة السامة ، وانه ليستخلص من الأجزاء الأرضية للنبات كما في : قاتل النمر ، والجنتيان ، وعروق الذهب ، والجنسة ، أو من قلف الشجرة مثل : الكسكرة ، والكينا ، أو من السوق والأخشاب مثل الافدرين ، والجوايا كم ، والمـر .

وثمة عقاقير ، تستخرج من أوراق بعض النباتات مثل « الصبار » ، ومنه عدة أنواع ، وهو من نباتات المناطق الحارة ، أوراقه عصيرية ، وأزهاره جميلة ، ويزرع بكثرة في المناطق الدافئة ، وتحتوي الأوراق على عصير يسيل عند قطعها ، وبتبخيره ، يتحول الى كتلة لزجة سوداء متجمدة .

و « البلادونا » من النباتات الطبية المهمة ، وتحتوي عـلى قلويات كثيرة ، أهمها هيوسيامين وآتروبين .

ويستخرج « الكوكايين » وهو المخدر السام ، من نبات الكوكا ، وموطنه « بيرو » وبوليفيا ، ويزرع بكثرة في أمريكا الجنوبية ، حيث تستعمل أوراقه في المضغ ، وكذلك يزرع في جاوه وسيلان وفرموزا . ويبدأ قطف الأوراق بعد أن يصبح عمر الشجيرة أربع سنوات ، وتقطف ثلاث أو أربع مرات في السنة ، ويستخلص الكوكايين مـن الأوراق الجافة .

ونبات « السكران » ، عشب خشن معمر ، ينمو في أوروبا وآسيا وصحارى أفريقيا ، وتحتوي الأوراق والأطراف المزهرة على قلويات سامة ، منها الهيوسيامين ، وسكوبولامين ، ويستعمل « السكران » مهدئا ومنوما ، وله تأثير « البلادونا » و « الداتورة » . والسكران المصري من أحسن أنواع السكران في العالم ، وأغناها بالجواهر الفعالة .

ونبات « الداتورة » ، هو الآخر من النباتات السامة ، وينمو بريا ، كما يزرع في جهات كثيرة للحصول على العقار المسمى « سترامونيم » الذي يستخلص من الأوراق الجافة والثمار ، « والجواهر الفعالة » فيه هي : هيو سيامين ، وآتروبين ، وسكوبولامين ، ويستعمل العقار بديلا للاتروبين لأراحة عضلات الصدر ، كما يستعمل مخدرا .

ونبات « حشيشة الدينار » ، عشب معمر ، تحتوي النورات على مواد راتنجية وعطرية مخدرة ، أهمها لوبيولين ، تستعمل في الطب لتأثيرها المهدىء المنوم ، وأيضا كمادة مقوية .

وعقار « سانتونين » يستخرج من النورات القرصية لنبات شيح سينا ، وهو نبات تحت شجيري معمر ، يكثر في آسيا والتركستان ، ويزرع في جهات كثيرة ، وهو من أحسن العقاقير لعلاج الديدان المعوية .

ويستخرج من ثمر نبات « الحنظل » المعروف ، مادة طبية ، تستعمل مسهلا . والنبات زاحف معمر ينمو بريا في كثير من الجهات الصحراوية في آسيا وافريقيا .

أما « الجوز المقيء » فهو عقار ثمين ، يستخرج من نبات الجوز المقيء ، وهي شجرة تستوطن الهند وسيلان والصين واستراليا ، وتحوي الثمرة من ثلاث الى خمس بذرات ، رمادية اللون صلبة ، مرة ، وتحتوي البذور الناضجة على جوهرين فعالين ، هما « ستركنين » ، و « تبوسين » ، ويستعمل الـ « ستركنين » فـي جرعات صغيرة لأنه سام ، كما يستمل الجوز المقيء منبها ومقويا .

والخشخاش الأسود عشب حولي زهره أبيض كبير ، ينمو بريا في جهات كثيرة من العالم ، ويزرع بكثرة في الهند والصين وآسيا الصغرى والبلقان ، وعندما تشرط الثمار بسكين ، يسيل منها اللبن النباتي ، الذي يكشط بعد أن يجف . ويحتوي على نحو خمس وعشرين مادة قلوية تستخدم طبيا . وأهمها المورفين والكودايين ، وهو مخدر ومهدىء ، ويستعمل باشراف الطبيب لأنه سام جدا .

ونبات الزربيح عشب بري ، وينمو فـي الأماكن المهملة ، في كثير من جهات العالم ، ونظرا لأهميته الطبية ، فانه يزرع بكثرة ، ويستخلص منه زيت عطري بتقطير الثمار ، ويستعمل طاردا للديدان .

أما « الارجوت » فيستخلص من فطرة صاخة ، تعيش متطفلة على نبات « الشيلم » وغيره من النجيليات ، وتهاجم السنابل الصغيرة ، وعند النضج تحل محل الحبة ، كتلة أرجوانية اللون ، ويستعمل في رفع ضغط الدم وفي حالات النزف التي تعقب الوضع .

وهناك عشرات من الأنواع النباتية ، تستعمل من قديم الزمان ، في محاربة الحشرات والفئران ، الا أن القليل منها هو الذي يستعمل على نطاق تجاري واسع . فالنيكوتين من التبغ ، والبيرثرم من النبات المعروف باسمه ، والروتينيون من نباتي « ديريس » و « كوبة » .

فنبات « البيرثرم » ، بري معمر ، ويزرع في جهات كثيرة ، لأهميته القصوى في تحضير المبيدات الحشرية التي تستخلص من الأزهار ، وهو شديد الفعالية ضد الذباب والبراغيث والبعوض ، وتصنع منه قنابل تحتوي على المبيد مذابا تحت ضغط ، وعند فتح القنبلة لبضع ثواني ، تخرج سحابة من الأبخرة ، تشل الحشرات وتقضي عليها .

ويستخرج « الروتينون » مـن نباتات متسلقة وزاحفة ، تتبع الفصيلة القرنية ، وهو يزيد على النيكوتين في فعاليتـه ، بمقـدار خمسة عشر ضعفا ، كما يزيد مفعوله عن « سيناور البوتاسيوم » بمقدار خمسة وعشرين ضعفا ، الا أن تأثيره على الانسان وذوات الدم الحار من الحيوانات ضعيف . ويستعمل سكان الملايو وبورنيو جذور أنواع من نبات « ديريس » في تسميم الأسماك والسهام . وتكثر هذه النباتات في غابات الهند واندونيسيا والفلبين ، واذا سحقت الجذور كان للمسحوق خواص المبيدات الحشرية ، ويمكن أن تستعمل مباشرة على هيئة صابون أو أن تستخلص منها الروتينون ومادة راتنجية ليصنع منها المبيد الحشري .

أما نبات « سم الفار » ، ويسمى أيضا بصل « فرعون » أو العنصل الأحمر ، فانه يستوطن منطقة حوض البحر المتوسط ، ويزرع في الجزائر ، ويستعمل مبيدا للفئران ، حيث يحتوي على مادة سامة .

ولا بد أن نذكر في هذا المقام نبات التبغ ، الذي يستعمل في التدخين ، ويستخلص منـه النيكوتين ، الذي يستعمل في الطب وكمبيـد حشري .

وبعد ، فهذا عرض موجز لأهم النباتات السامة وأكثرها شيوعا ، رأينا أن نعرضه مبسطا في هذه العجالة اتماما للفائدة .



محمد عبد الله عنان مؤرخ الإسلام والأندلس

بقلم: الاستاذ انور الجندي

عندما يتم عمل ضخم في مجال التحقيق العلمي على النحو الذي أتم به المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان موسوعته عن الأندلس ، فان دوائر الفكر تنظر بالتقدير البالغ للباحث وأثره . وتتطلع الى نظرة شاملة عن حياة هذا المفكر . تكشف من خلالها عن أعماق فكره وابعاد عمله في مجال البحث والدراسة .

وقد أصدر الأستاذ عنان أخيرا كتابه « عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس » في مجلدين كبيرين يضمان نحوا من ١٤٠٠ صفحة من القطع الكبير . وكان الجزء الأول من كتابه قد ظهر متضمنا تاريخ الدولة المرابطية في المغرب حتى سقوطها على يد « المهدي بن تومرت » وخليفته الأول « عبد المؤمن بن علي » ثم قيام الدولة الموحدية على انقاضها . ثم ظهر أخيرا المجلد الثاني عن « عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى » متضمنا تاريخ الدولة الموحدية في المغرب والأندلس ، ومراحل الصراع بينها وبين اسبانيا النصرانية ، وما نشب بينهما من الوقائع العظيمة الحاسمة ولا سيما معركتي «الارك» و« العقاب » . ومشتملا على تاريخ الخلفاء الموحدين باسهاب منذ عصر الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حتى عصر آخرهم الواثق ابي دبوس . وانتهاء الدولة الموحدية في المغرب على يد بني مرين . وقد استعرض هذا الجزء انهيار الأندلس الكبرى ومأساة سقوط قواعدها التالدة (قرطبة وبلنسية ومرسية وشاطبة واشبيلية وجيان وغيرها) في أيدي الاسبان . كما قدم للقارىء كعادته في كل أجزاء الموسوعة خرائط تخطيطية لسائر الوقائع الكبيرة ، مع دراسة مستفيضة للنظم الموحدية السياسية والعسكرية والادارية والاقتصادية . وللحركة الفكرية خلال العصر الموحدي .

° ° °

وبهذا الكتاب — في جزئيه — أتم الاستاذ عنان موسوعة تاريخ الأندلس في سبع مجلدات ضخام تضم نحو أربعة آلاف صفحة ، ممثلة في (١) دولة الاسلام في الاندلس (٢) دول الطوائف (٣) عصر المرابطين والموحدين (٤) نهاية الأندلس (٥) الآثار الأندلسية الباقية . وقد عايش المؤرخ بحثه هذا ربع قرن كامل منذ اتجه اليه وتفرغ له في عزيمة صادقة ، غير حافل بأي جهد أو مال يبذل في سبيل تحقيق الغاية التي أخذ نفسه بها . والحق ان هذا العمل الكبير لا يمكن أن ينظر اليه منفصلا عن شخصية الاستاذ عنان . بل يمثل قمة فكره خلال مراحل طويلة من الدراسة والبحث بدأت منذ مطالع حياته . فمن خلال حياة عريضة مثرية في التأليف والتحرير يبدو هذا « المؤرخ » وقد عرف وجهته منذ اللحظة الأولى على النحو الذي بلغه اليوم بعد ان جاوز الستين من العمر . فقد كانت تطلعاته كلها وأدواته هي تطلعات المؤرخ وأدواته ولم يكن عمله في الصحافة أو المحاماة . أو رحلاته أو دراساته للغات القديمة والجديدة . الا وسائله لعمله الأكبر الذي أولاه روحه وعقله . ثم كانت دراسات الاندلس هي قمة هذا العمل .

فهو في طابع أبحاثه التي بدأها منذ عام ١٩٢٦ الباحث المؤرخ . الطلي العبارة . الدقيق في عرضه للوثائق وتحليلها واستخلاص الحقائق . فالصحافة وسيلته الى نشر ما يحقق من الجوانب الغامضة أو المجهولة . والمحاماة عنده هي الدفاع عن قضية كبرى . هي قضية أمة كالأندلس . والرحلة عنده هي البحث المضني وراء الآثار والمواقع والجبال والقلاع والأسوار والقناطر والأطلال . أما اللغات الكثيرة التي يجيدها فهي وسائله للوصول الى أدق خيوط الأثر العلمي .

وهو كيفما يكتب انما يحاول أن يكشف عن مجهول أو يكمل جانبا ناقصا . أو يلقي الأضواء على قطاع غامض من التاريخ .

ومنذ مطالع شباب مؤرخنا الكبير نجد مادة « التاريخ » تأخذ بلبه ، وتستولي على روحه وتشده اليها . فهو كلف بها ، يصرف وقته في مطالعات استهوته منها « مقدمة ابن خلدون » فمضى يستوعبها في سن الثانية عشرة . متخذا من شيخ المؤرخين علامة البدء في الطريق الذي لم يكن قد تكشف له بعد . ثم اذا هو محب للحريري يعشقه ويتغنى

بشعره ويحفظ منه . فاذا أضيف الى ذلك ما حفظه في المدرسة الأولية من القرآن الكريم وما قرأه من العقد الفريد وغيره . عرفنا مصدر تلك الاصالة العربية الواضحة في أسلوبه . والتي زادها قوة وصقلا ما أضاف اليها فيما بعد من قراءات في الآداب الانجليزية والفرنسية والالمانية حين عكف على ماكولي ، وجيبون ، وكارليل ، ورانكه ، وتيير ، وغيرهم من أعلام الأدب والتاريخ . فقد قــرأ آثارهم الرائعة التي أعطته روحها في براعة الاداء وسلامة العرض لآرائه وفكره . ومن عصارة الثقافتين العربية والغربية تكون ذلك المزيج الذي يأسر القلب حين تطالع آثار ذلك المؤرخ الاسلامي حين يمزج الأدب والعلم والفن في أسلوبه ومنهجه .

ومن خلال دراساته أضيء الطريق أمامه الى غايته . فهو يدرس الحقوق ويتخصص في القانون الدولي ويعمل في المحاماة . ويتصل بالصحافة . ثم يتعمق الطريق أمامه في أول الثلاثينيات في عملين كبيرين هما : الدراسات الغامضة في التاريخ ، والصدام بين الشرق والغرب.

وقد أصدر في ذلك طائفة من الآثار والمؤلفات . وفي هذه الدراسات واجه المؤرخ جوانب جديدة وكشف عن صفحات مشجية لم يعن بها من قبله أحد من الباحثين . وهو بذلك قد أغنى فكرنا بألوان من الدراسات التاريخية معروضة على نحو علمي دقيق ، وفي أسلوب ناصع مشرق .

ويمضي عنان في طريقه ليصل الى أول الاربعينات من هذا القرن ومن عمره أيضا والى قمة دراساته وأعماله التاريخية وهو « تاريــخ الأندلس » .

وهنا تتكشف نفسية مؤرخنا الاسلامي عن أعماقها . قوة وبراعة واخلاصا لفنه على نحو لم يتيسر لكثير من الباحثين والمؤرخين . فقد أحس «عنان» بمدى حاجة تاريخ الأندلس الى الدراسة المستوعبة . وهو الذي صاحبه منذ مطالع شبابه بدراسات لمواقفه الحاسمة . وتاريخ فتوحه . وسير بعض أبطاله .

ولم يكن اتجاه عنان الى تاريخ الاندلس الا تمثلا لأعمق مشاعره . وأصدق أحاسيسه . فهو الذي عني منذ شبابه بأمر معارك العرب الكبرى وكان من أشدها معركة « بلاط الشهداء » بين كارل مارتل وعبد الرحمن الغافقي على ضفاف اللوار . وحصار العرب للقسطنطينية وهزيمتهم تحت أسوارها . ثم كان احساسه على مدى الأيام وهو يتحول من عمله كمحام ، الى عمله كمؤرخ ، ان الأمر لم يتغير في تقديره . فالمؤرخ محام في قضية كبرى ، ومن هنا كان لا بــد لهذا المحامي الطموح أن يتولى الدفاع عن أكبر قضية في تاريخ الاسلام . وهي قضية الأندلس .

° ° °

ولم يكن تاريخ الأندلس محجوبا عن دراسات الكثيرين من الباحثين الغربيين والشرقيين على السواء ولكنه كان في حاجة الى عمل كامل شامل يحقق كل ما قدمه الباحثون في مجال البحث من آراء ، وأن يكون مجال التحقيق غير مقتصر على نصوص الكتب وانما يتجاوزها الى المخطوطات والوثائق المدفونة . فموائد البحث في دور الكتب لا تكفي ولا بد من مشاهدة مواطن المعارك في أرض الأندلس نفسها .

ومنذ عام ١٩٤٠ وفي خلال ربع قرن ارتبطت دراسة تاريخ الأندلس بأخصب سنوات حياة عنان فقد أمضى هذه السنوات في دراسة هــذا التاريخ الشجي ثم في رحلات متصلة الى أرض الفردوس الاسلامي المفقود . وهو منذ سنة ١٩٥٠ يقوم في كل عام برحلة . يمضي فيها الشهور الطويلة هناك بين الوهاد والسهول والمدن والقرى الاسبانية ، باحثا منقبا محققا عن مواقع الآثار الأندلسية ، ثم مترددا على دور المخطوطات في الاسكوريال وسيمانقا ومدريد وبلنسيه وخزانة الرباط وخزانة جامع القرويين في فاس .

وهو في خلال أكثر من اثنتي عشرة رحلة ، لم يترك قرية ولا مسجدا ولا سورا ولا كنيسة ولا موقعة ولا أثرا في الأرض الأندلسية ، دون أن يزوره . أو يحقق تاريخه أو يصوره أو يراجع ما كتب عنه .

وقد بلغ في ذلك غاية ما يفعل المؤرخ الذي لا يكتفي بأن يضع بين يديه الوثائق والأسانيد ثم يفحصها ويحققها ، بل يقصد الى الأماكن التي كانت مسرحا للأحداث أو المعارك أو المواقع فيفحص أرضها وأحجارها ، بل لقد يضطر الى أن يصعد ثماني ساعات الى الجبل ليقطع ثلاثة آلاف متر ويصل الى موقع معركة « العقاب » .

وهو في هذه الرحلات ينفق من خالص ماله لا يستعين بمؤسسة أو هيئة ما ويبذل من صحته حيث يحتمل مشقة التنقل وصعود الجبال ، لا يدفعه الى ذلك غير ايمانه العميق برسالته وهدفه .

وقد استطاع أن يحقق نتائج باهرة ، فقد حصل على كثير من الوثائق الجديدة في تاريخ الأندلس والمغرب ومنها وثائق لم يسبقه أحد الى كشفها . ومن ذلك وثائق ومعاهدات أندلسية اسبانية ينشرها لأول مرة باللغة العربية ، ولم يفطن اليها أي مؤرخ غربي أو شرقي .

° ° °

ولعله مما لم يسبق اليه أنه يكتب عن المعارك في مواقعها . حيث يزور أرضها ويدور حولها . ويحقق كل دقائقها ، ثم يتخذ مكانه ومعه مراجعه ووثائقه ليكتب وأمامه الجبل والحصن والنهر ، وكأنما يرى المعركة تدور ، أو يسمع صليل السيوف وصهيل الخيول .

وهو يقول : « لم أترك مدينة أندلسية أو قرية الا زرتها ، ولم أترك ميدانا لمعركة هامة وقعت بين المسلمين والأسبان الا زرتها ودرستها . وقد طفت في جبال — الشارات — « سيير أمورينا » وجبال « سيير اهادا » وغيرها من الجبال والوهاد » .

والواقع اننا من خلال هذا العمل التاريخي الكبير في مجال دراسة الأندلس نكتشف جوهر شخصية هذا المؤرخ الذي وهب نفسه للفكرة التي آمن بها . فهو يقول : « أعتقد في دخيلة نفسي أن لي رسالة تاريخية أهبها حياتي ، وهي جلاء التاريخ الاسلامي في ثوب ناصع يتفق مع عظمة الرسالة الاسلامية وقيمة النتائج التي انتهيت الى تحقيقها وابرازها بانصاف وصدق ودون أي نعرة عنصرية » .

ويقول أيضاً : « لقد أحببت الأندلس حبا ملك على شغاف قلبي فأنا في كل مرة أزورها أكاد أقبل أحجار قصر الحمراء في غرناطة ، وأبكي أمام المحاريب الاسلامية في قرطبة ولكني لا ادع هذه العاطفة تتدخل في عملي ، فانما أنا محام ومؤرخ ، أبحث القضية بروح الانصاف والحق ، وأتطلع الى السند والوثيقة ، ولا احجم عن اصدار حكمي وان خالف رأي غيري » .

° ° °

وهكذا تبدو حياة مؤرخنا الاسلامي الكبير ، محمد عبدالله عنان ، متصلة مترابطة منذ مطالعها على نحو قلما أتيح لمفكر أو باحث . فقد وجد عنان طريقه منذ اللحظة الأولى ، وعاش حياته كلها يعمق هذا الطريق ويوسعه ، وقد استطاع ان يقدم للفكر الاسلامي هذا العمل الكبير في موسوعته الأندلسية التي اكتملت حلقاتها بصدور كتابه « عصر المرابطين والموحدين » . وعندنا أن عمل مؤرخنا الكبير ما زال ممتدا في تحقيق جوانب كثيرة من تاريخنا الاسلامي ، ومازال قراؤه يتطلعون دائما الى آثاره وأعماله التي اتسمت دائما بالدقة والخصوبة والتي أنارت كثيرا من الجوانب الغامضة واكملت غير قليل من الحلقات المفقودة .

مياه صالحة للريّ من البحر

بقلم : المهندس الدكتور سليم مقصود
استاذ الري في الجامعة الاميركية في بيروت

كثر الحديث في الآونة الأخيرة من مشاريع تحويل مياه الأنهار وتخزينها لاستعمالها للري. وغالبا مايتخلل بحث هذه المشاريع تلميحات بأن امكان الحصول على مياه صالحة للري من مياه البحار الملحة التي قد تؤثر على فعالية أو قيمة هذه المشاريع . فما هي هذه الامكانية وما هو مدى الأمل في تحقيقها ؟ وما هي الخطوات العملية التي اتخذت في هذا المضمار ؟

ان أمل الحصول على مياه عذبة من البحر ، أو استعمال مياه البحر للري ، ما زال يرافق الانسان منذ أقدم العصور ، ولعله يرجع الى حوالي ٣٥٠ سنة قبل الميلاد ، يوم أعلن أرسطو ، بقوله الشهير : « ان المياه الملحة تصبح عذبة لمـا تتبخر ، والبخار لا يرجع الى مياه ملحة لما يتقطر .. » . وبتطور العلم لم يعد هناك أي شك في امكانية الحصول على مياه عذبة من المياه الملحة . وقـد استنبطت فعلا عشرات الوسائل العملية والنظرية لذلك ، انما تعود المشكلة الى انتقاء أفضل وسيلة من الناحيتين العملية والاقتصادية والتي يمكن بواسطتها الحصول على المياه العذبة بكميات تفي بالحاجة المطلوبة .

وسائل التكرير

نستطيع تقسيم وسائل التكرير التي استنبطت واستعملت أو التي ما زالت في تطور النظريات الى ثلاث بالنسبة للقانون العلمي العام الذي تعتمده . فمنها ما يعتمد على مبدأ التبخر والتقطير ، وهي الأكثر عددا ، ومنها ما يعتمد على مبدأ التبريد حتى التجمد ، ومنها ما يعتمد على استعمال أغشية مختلفة ، الغاية منها تصفية الأملاح من المـاء . وتقوم في معظم دول العالم اليوم مراكز للتجارب والأبحاث غايتها أحد أمرين : أما تقليل كلفة العمليات اللازمة لاحدى الوسائل المعروفة ، أو استنباط وسائل جديدة قد تكون أقل كلفة منها . وتتوقف كلفة الانتاج على الانشاءات الأولية اللازمة للوسيلة ، وعلى كفاءتها في استعمال الوقود أو الطاقة . ولذلك نرى اتجاها لاستعمال مصادر للطاقة قليلة الثمن أو مصادر ليس لها استعمال آخر في الوقت الحاضر مثل حرارة الشمس ، أو الغازات الثانوية في حقول البترول أو الحرارة الناتجة في المصانع الذرية لتوليد الكهرباء — قد استعملت هذه فعلا في عدة تجارب وتعد من المصادر التي لا تزال في عالم التقدير — أو الطاقة الكامنة في أمواج البحار والرياح والمد والجزر ، أو الطاقة الحرارية الناتجة عن فرق درجة الحرارة بين ماء البحر والجو ، أو الطاقة الكامنة في السوائل المركزة بالنسبة لغير المركز منها . وتتوقف كلفة الانتاج أيضا على حجم معمل التكرير ، فكلما زادت الكمية المستخرجة يوميا من المياه العذبة كلما نقصت كلفتها . وتتوقف سرعة الانتاج بواسطة أي وسيلة ، على درجة الملوحة في المـاء وعلى الصفاء المطلوب طبعا .

التبخير والتقطير

كان من الطبيعي أن تكون أولى الوسائل التي استنبطت لتكرير ماء البحار هي التي تعتمد على التبخير والتقطير – فالطبيعة نفسها تعتمد هذين الأساسين في الحصول على مياه الأمطار العذبة من بخار مياه البحار الملحة. وهناك اليوم آلاف الوحدات الصغيرة نسبيا التي تستعمل على البواخر وعلى الأرض، معتمدة على مبدأ التقطير للحصول على المياه العذبة.

ان العمليات التي تعتمد على مبدأ التبخر تحتاج الى وقود لتسخين المـاء حتى درجة الغليان، ومن ثم جمع البخار وتقطيره. يغلي الماء على مستوى سطح البحر، على درجة ١٠٠ مئوية أما اذا خففنا الضغط على سطح الماء، كما يحدث عند صعودنا الى قمة جبل عال، فان الماء يغلي قبل وصوله الى هذه الدرجة. ويستفاد من هذه الظاهرة في الوسائل التي تعتمد على ما يسمى بمبدأ «التبخر الخاطف» ألا وهو زيادة الضغط على سطح المـاء خلال تسخينه حتى يمنع الغليان، ثم ينزل الضغط فجأة، فتتبخر كمية كبيرة من الماء في برهة قصيرة.

أما اذا قمنا بعملية تقطير عادية فاننا نحصل على وحدة من الماء العذب مقابل كل وحدة من البخار الذي ننتجه، وهذه عملية تكلف كثيرا جدا ولا تصبح اقتصادية الا اذا استطعنا أن نستفيد من الحرارة الموجودة في البخار. لتبخير أكثر من وحدة مماثلة من الماء وذلك على عدة دفعات. من هذا خرجت فكرة ايجاد عدة خزانات ماء كل منها تحت ضغط ينقص قليلا عن ضغط الخزان المجاور له. فعندما يدخل البخار الى الخزان الأعلى ضغطا، يسخن الماء فيه ويتبخر بعض منه، ثم يمرر البخار الى الخزان التالي، ولكون هذا الخزان تحت ضغط أقل من الأول فان الماء فيه يغلي على درجة حرارة أقل، ولهذا يمكن للبخار أن يبخر بعض ماء هذا الخزان ايضا. ثم يخرج البخار الى الخزان التالي والتالي. وهكذا يستفاد من كمية واحدة من البخار للحصول على عدة كميات من الماء. وهذا التقطير المتعدد هو ما يستعمل فعليا في عدة مصانع كبيرة للتكرير.

التجميد والتصقيع

من المعروف أن قطع الجليد التي تتكون في البحر لا يدخلها الملح، أي انه اذا أخذنا قطعة من هذا الجليد وغسلناها من الماء الملح العالق بسطحها ثم أذبناها، فاننا نحصل على ماء خال من الملح. ومن هنا نشأت فكرة التجميد كأساس لعدة وسائل تكرير لا تختلف الا في تفصيل عملية التجميد والتغسيل والاذابة ومقدار كفاءتها في الاستفادة من الطاقة اللازمة لتجميد أول كمية ماء لتجميد كميات اضافية عند اذابة الجليد المكون. والطاقة النظرية اللازمة لعملية التكرير هذه هي حوالي ١/٢ كيلواط ساعة للمتر المكعب.

الا أن المتطلبات الفعلية لأول معمل تجريبي انشيء في اميركا قد بلغت ١٢ كيلوات ساعة.

الأغشية

أما المبدأ العام الثالث الذي ترتكز عليه عدة وسائل تكرير فهو استعمال أغشية خاصة لا تسمح بتسرب ذرات الملح منها. وهذه الأغشية على عدة أنواع: منها أغشية حقيقية لا يتسرب منها الا المـاء الزلال، ومنها أغشية يتوقف سماحها لتسرب ذرات الملح على نوع كهربائها، ومنها أغشية تتألف من حبيبات اصطناعية لها صفة الجذب لذرات الملح فتجعل المـاء المار عليها صافيا نسبيا، بينما تلتصق ذرات الملح بها، ولا يزال المجال واسعا لايجاد أغشية جديدة. ولسحب المـاء من خلال هذه الأغشية يستعمل الضغط الآلي في بعض الوسائل، كما تستعمل الكهرباء في البعض الآخر. وهناك وسائل تستخدم فَرْق الضغط التركيزي لنفس الغاية. أما الوسيلة التي تعلق عليها أكبر الآمال في الأوساط العلمية والصناعية فهي التي تستعمل الأغشية الحساسة لكهرباء الذرة المحلية والطاقة الكهربائية لسحب الماء. وقد انشيء معمل يعتمد على هذا المبدأ، ونتائج أعماله تبشر بفرصة هائلة خصوصا في تكرير المياه القليلة الملوحة (٥٠٠٠ جزء بالمليون).

ولفهم طريقة التكرير هذه علينا أن نتذكر أن الملح العادي الذائب في الماء ينقسم الى ذرات من الصوديوم ايجابية الكهرباء والى ذرات من الكلور سلبية الكهرباء. ويتألف جهاز التكرير من خزان كبير مقسم الى خزانات صغيرة بواسطة قواطع من الأغشية الخاصة. أولها يسمح بتسرب الذرات الايجابية الكهرباء فقط، بينما الغشاء الذي يليه يسمح بتسرب الذرات السلبية الكهرباء فقط، والذي يليه يكون على شكل الأول. والرابع على شكل الثاني وهكذا حتى يصبح لدينا حوالي عشرة أغشية أو أكثر. ثم يسلط تيار كهربائي على مقطع هذه الأغشية فتتجه الذرات الايجابية الى القطب السلبي والذرات السلبية الى القطب الايجابي. ولكن الأغشية لا تسمح الا بمرور نصف الذرات الى جهة والنصف الثاني الى الجهة الأخرى. فينتج عن ذلك ان يصبح الماء صافيا في نصف الخزانات الصغيرة ويزيد تركيزه في النصف الآخر، وتقدر الطاقة اللازمة لهذه العملية بحوالي ٣ كيلواط ساعة للمتر المكعب الواحد. وهي أقل منها في أية وسيلة أخرى. ولكن المشكلة التي يتوخى العلماء حلها هي زيادة معدل انتاج هذه الأجهزة للماء المكرر، لأن معدلها حاليا لا يزال جزءا من مائة من معدل الأجهزة التي تعتمد على مبدأ التقطير. وقد بلغت كلفة معمل نموذجي بني حديثا لتكرير ألف متر مكعب يوميا من المياه التي تبلغ ملوحتها (٢٠٠٠ جزء بالمليون)، نصف مليون دولار.

° ° °

من كل هذا يتبين لنا ان الانسان قد تمكن من استخراج المياه الصالحة للري والشرب من مياه البحار مستعينا بعدة وسائل. بعضها أفضل من الآخر. الا أن أحسنها لا يزال قليل الكفاءة، وثمن الماء المستخرج لا يسمح باستعماله للري في الظروف العادية. الا أن العلم يبشر بايجاد تحسينات واستنباطات قد تجعل مياه البحر في متناول ايدينا في المستقبل القريب، لرفع مستوى معيشتنا ومقاومة الجفاف، وانحبـاس الأمطار. وان غدا لنـاظره قريب.

الخَـرْج قـديمًا وحَـديثًا

بقلم : الاستاذ زين الدين قطالي

سجّلت مصادر التاريخ القديم بعض السمات الواضحة ، وتركت لنا بعض العلامات البارزة التي تعطينا فكرة جلية عن الخرج . فهو معروف في العصر الجاهلي والعصور التي بعده بأنه أرض زرع ونخل ، وانه خير واد باليمامة ، وانه لبني قيس بن ثعلبة من قبيلة بكر بن وائل . هذه القبيلة لها شكيمة وشهرة بين قبائل العرب ، ولها رجال وأبطال خاضوا غمار الحروب والغزوات المشهورة في تاريخ العصر الجاهلي .

عرفت العرب ما للخرج من أراض زراعية تبهج العين باخضرارها ، وتنعش النفس بنفحات عبيرها حتى تركت في نفس الشاعر الجاهلي « ذي الرمة » احساسا عميقا بشذى عطرها ، فتفاعل مع هذا التأثير حتى ظهر الأثر واضحا حينما قال في قصيدة له :

بنفحة من خزامى الخرج هيّجها

ولقد كان لهذه الأرض الطيبة صورة حلوة في نفس الشاعر العملاق جرير الذي عاش في العصر الأموي ، والذي آثره كثير من الأدباء والشعراء على غيره من فحول الشعر ... ففي لحظة من لحظات شوقه . أخذ يتصور المرأة التي سكنت فؤاده والتي حرم عليها أهلها التحدث اليه . فهو لا يستطيع أن يستمتع بصوتها العذب . ولا هي قادرة على أن تناجيه مناجاة بريئة طاهرة ... جال في خاطره ذلك الحرمان الذي آلم نفسه . وتحركت في شاعريته صورة الخرج الجميلة . ولاحت له بعض الذكريات الحلوة . وقد ألمع جرير الى ذلك كله بقصيدته التي يقول فيها :

آلو عليها يمينا لا تكلمنا ... من غير سوء ولا من ريبة حلفوا

يا حبذا الخرج بين الدام والأدمى ... فالرمث من برقة الروحان فالغَرَف

ومن الشعراء الذين تغنوا بالخرج أيضا « صناجة العرب » أو الأعشى حيث قال :

ويوم الخرج من قرماء هاجت ... صباك حمامة تدعو حماما

كذلك « تأبط شرا » الذي قال :

على قرماء غالية شواء ... كأن بياض غرته خمار

هذا الشارع المتسع المنار بالكهرباء يظهر ناحية من العمران في مدينة الخرج الحديثة التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٣٠٠٠٠ نسمة ، والتي تسعى بلديتها جادة لجعلها مدينة زاهرة يعمها التقدم والعمران .



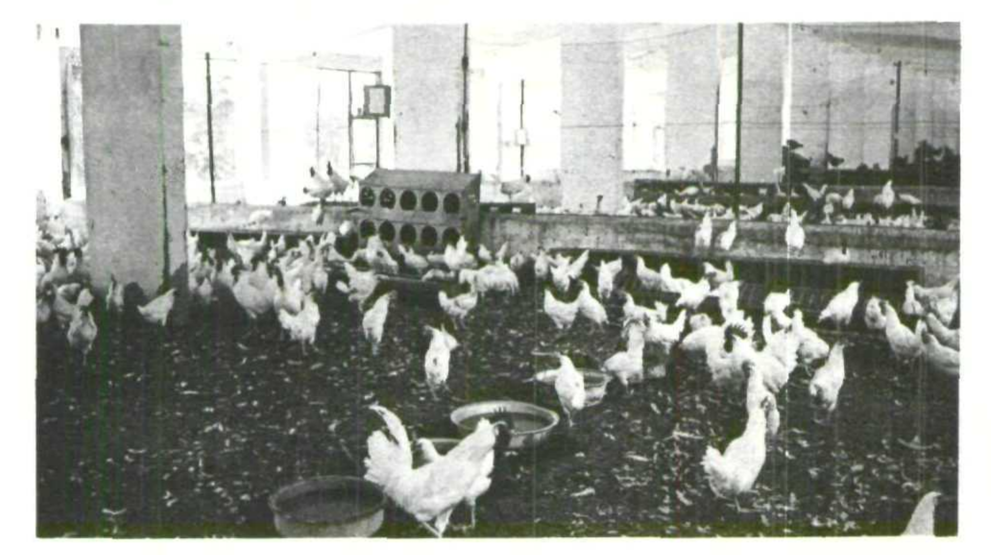
متنزه الخرج الذي يؤمه الكثيرون من سكان منطقتي الخرج والرياض للراحة والاستجمام ، وهذا المتنزه مقسم الى حدائق صغيرة منفصلة بحيث تستطيع كل مجموعة الاستقلال بحديقة خاصة بها ، وقضاء وقت لطيف ممتع . وفي المتنزه مقهى صغير يقدم للزبائن المرطبات ، وبركة للسباحة . وقام ببناء هـذا المتنزه بلدية الخرج النشيطة وهي ترصد في كل سنة قسما من ميزانيتها للعناية به وتنسيقه .

تحوي مزرعة الأبقار معملا لتعقيم الحليب ينتج حوالي ٦٠٠ رطل يوميا . وفي هذا المعمل يجري حلب الأبقار آليا ، لينتقل الحليب بعدئذ الى خزان خاص حيث يجري تسخينه الى ١٥٥° فرنهايت وبعد ذلك يبرد الحليب الى ٤٠° فرنهايت ، ثم يعبأ في زجاجات معقمة ، تحفظ في الثلاجات استعدادا لبيعها للزبائن .

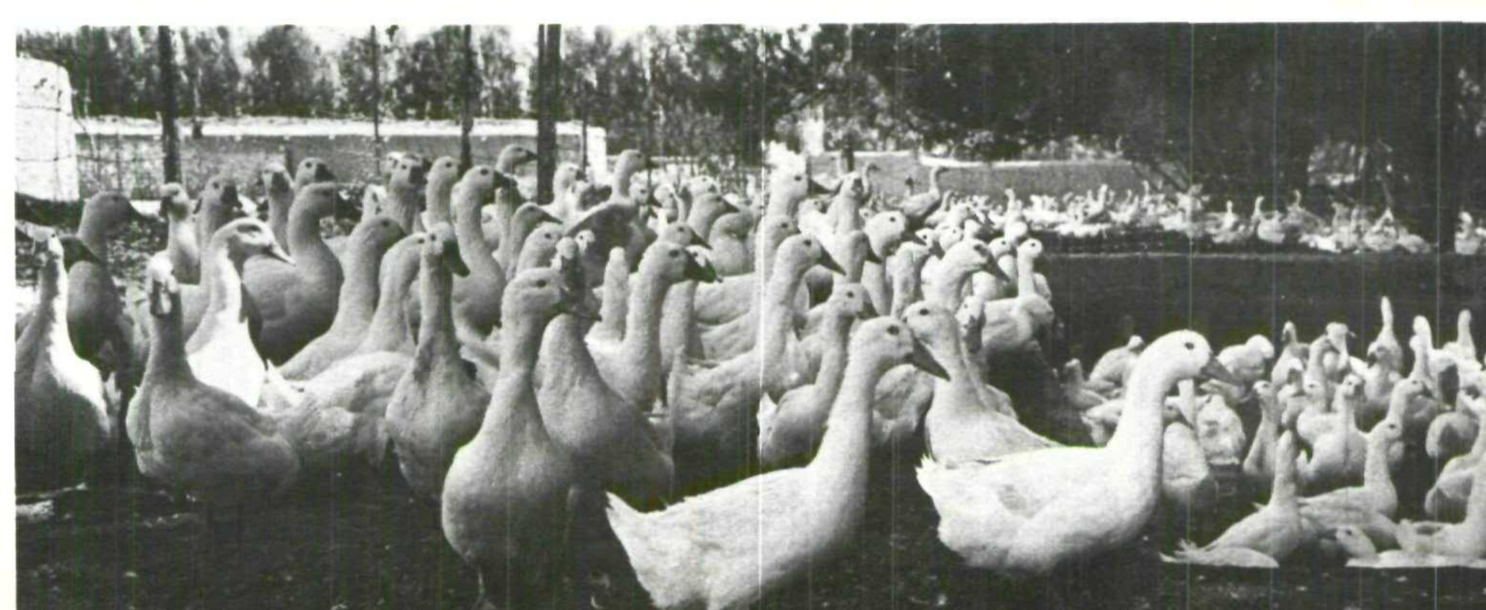
تتناول العجول الصغيرة ، في مزرعه الأبقار ، الحليب بالرضاعات منذ ولادتها حتى نهاية شهرها الثالث . وهذه العجول من فصائل مختلفة يجري تربيتها للانتفاع بها كأبقار حلابة في المستقبل تؤمن حاجة المنطقة المتزايدة الى الألبان .



يضم المشروع الزراعي أيضا مزرعة للدواجن تحوي أكثر من مائة ألف طير من الدجاج الى جانب أنواع عديدة من البط والديوك والرومية . وهذه الطيور يبتاعها الأهلون مع بيضها بأسعار معقولة تمكن الجميع من شرائها .



أسراب من البط ، في مزرعة تربية الدواجن ، تسرح وتمرح في ظلال الأشجار الباسقة . وهي كما تبدو سليمة سمينة ، لما تلقاه من العناية الصحية والغذاء السليم .



فاذا كان الخرج قديما روضة صداحة هيجت بلابل الشعراء . فهو في العهد الحديث جنة فينانة ، وارفة الظلال ذات جمال طبيعي وبهاء أخاذ . وأول ما يستهوي نظر الزائر من بعيد ، أشجار الأثل والكافور « والكزورينا » الباسقة .

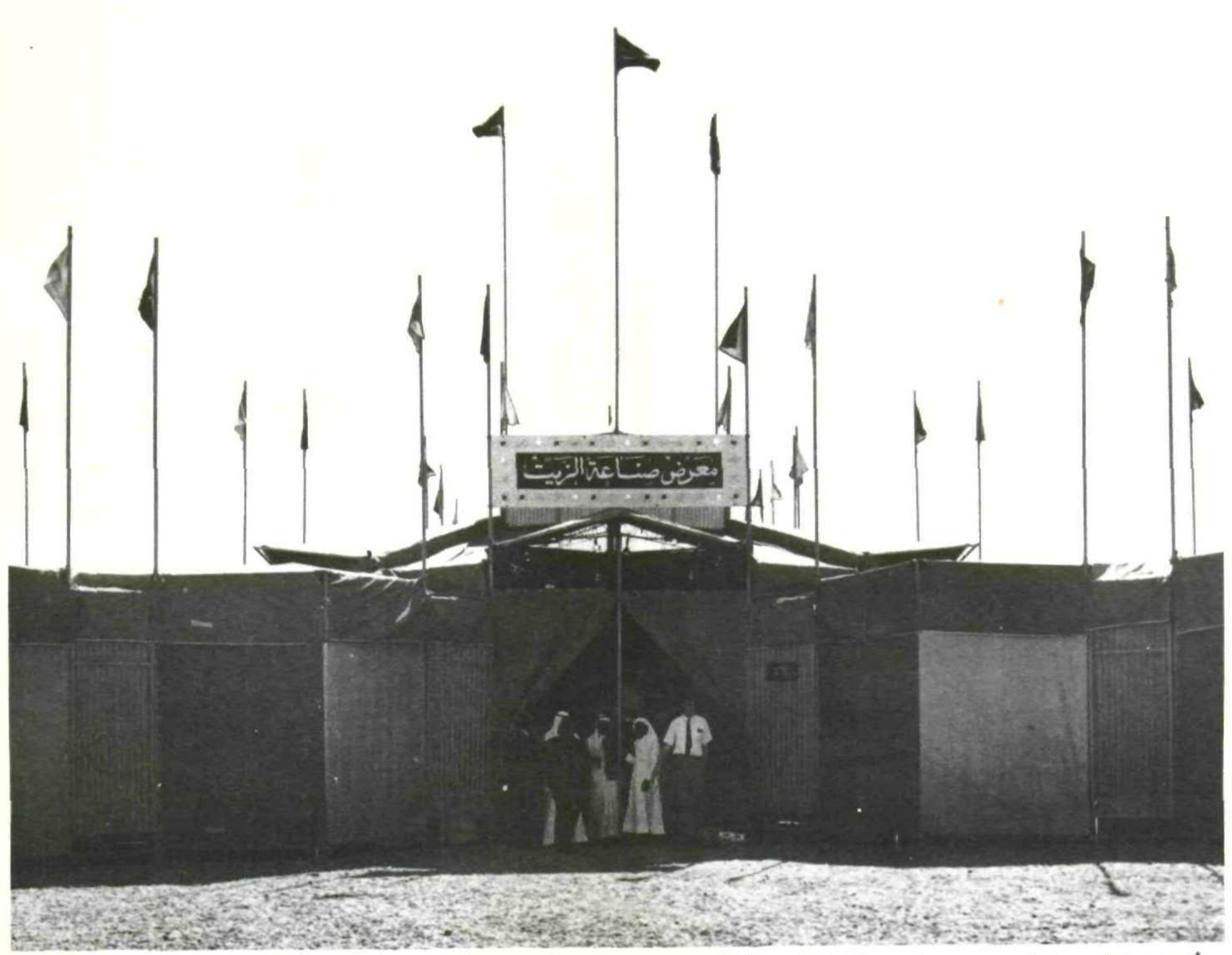
يبعد الخرج عن الرياض بنحو ثمانين كيلومترا . ويشتمل على عدة مناطق أهمها وأولاها ، « السيح » ، لأن المياه كانت تسيح فيه من (عين سمحة) . فمنطقة (خفس دغره) ، ثم « روضة الأبجدية » ، وهي واد خصيب منخفض يبعد عن عين سمحة بنحو عشرين كيلومترا . وتشير المصادر والتقارير التي كتبت عن الخرج الى أنه حظي بعناية كبيرة من الحكومة الرشيدة منذ عهد قيامها على يد المغفور له جلالة الملك الراحل عبد العزيز ، مؤسس هذه الدولة وباني نهضتها . ويمتاز الخرج بأراضيه الزراعية الخصبة ومياهه الوافرة الزاخرة . وقد استقدمت الحكومة البعثات والخبراء والمهندسين في مختلف شؤون الري والزراعة ... وجلبت عددا عظيما من مختلف أنواع الأشجار ، والنبات ، والبذور ، لرفع المستوى الزراعي فيه .

ففي عام ١٣٦٢ هـ ، استقدمت وزارة الزراعة ، للغرض نفسه ، بعثة زراعية مصرية مكثت في الخرج زهاء عشرين شهرا ، كما استحضرت نخبة من الخبراء الأمريكيين لدراسة الأحوال الزراعية . وقد رفع هؤلاء نتائج دراساتهم وأعمالهم ومقترحاتهم الى وزارة الزراعة مما دفع بالخرج خطوات واسعة في حقلي الري والزراعة ، وأكسبه مكاسب كبيرة حيث أدخلت عليه زراعات جديدة ، وأحدثت فيه مزرعة شاسعة لتربية الدواجن والأبقار بالطرق الحديثة التي تساعد على انمائها وزيادة انتاجها .

هذا وقد اتجه اهتمام حكومة جلالة الفيصل المعظم الى الاستفادة من مياه عين سمحة التي كانت تفيض بغزارة ، فأشار الخبراء الأمريكيون بتركيب ثلاث مضخات تبلغ قوى محركاتها ٥٠ و ٤٠ و ٥٥ حصانا ميكانيكيا ، لضخ ما مقداره ٤١ ألف متر مكعب من الماء يوميا .

أما مساحة الخرج فتقدر بنحو ٢٥٠٠ فدان ، و (خفس دغره) بـ ٢٠٠٠ فدان ، وروضة الأبجدية بـ ١٥٠٠٠ فدان .

وفي عهد الفيصل المعظم ، ارتفعت ميزانية الخرج ، واعتمدت له مشاريع ضخمة . فيد الاصلاح والتطوير تواصل عملها في انعاش هذه الأراضي الخصبة ، وتحسين منتجاتها ، وثمارها اليانعة . ولا تزال الأسواق المحلية تعرض منتجات الخرج الزراعية . كما ان كثيرا من الزوار الأجانب يوالون زياراتهم لمناطق الخرج ، معجبين بتدفق مياه عيونها ، وخصبة أراضيها . فالخرج بحق درة أودية اليمامة وعروسها الفاتنة .



أقيم مؤخرا في مدينة الخرج معرض الزيت المتنقل التابع لأرامكو وقد لاقى اقبالا كبيرا من الأهلين حتى بلغ عدد الذين زاروه « ١٥٨٠٠ » زائر ، بالاضافة الى ١٠٣٦ طالبا . وأثناء اقامة المعرض ، عرضت بعض الأفلام التثقيفية وشاهدها قرابة ٢٠٠٠٠ شخص .

تصوير : عبد اللطيف يوسف



في معترك الحضارة

تأليف : الدكتور قسطنطين زريق

عرض وتعليق : الاستاذ محمود الشرقاوي

يعيش العالم كله الآن معارك حامية محتدمة : معارك بين قديم الناس ومألوفهم وثقافاتهم الموروثة وجديدهم وما يقتحم حاضرهم من أفكار وآراء ونظريات وثقافات مختلفة ...

وعالمنا العربي اليوم ، على وجه خاص ، يقف من هذه المعارك موقفا يجب أن يتدبره وان يطيل التفكير فيه ليعرف أين يقف وأين يتطلع وأين يسير ، الى أي متجه يتجه ليحقق لنفسه الحياة الكريمة ، ومن قبل ذلك ليباعد بين نفسه وبين مخاطر الشطط ومهاوي الخطأ والتسرع والهوى والانقياد .

في معركة الحضارة هذه — أو الحضارات — قرأت كتابا جيدا لكاتب مجيد هو الدكتور قسطنطين زريق . وليس هذا أول كتاب أقرأه للكاتب الكبير ، فقد قرأت له من قبل كتبا ذات قيمة مثل : « أي غد » و « هذا العصر المتفجر » و « ما بعد النكبة » الذي صدرت قبله وبعده كتب كثيرة في موضوعه وبقي هو أكثرها جودة وأكبرها قيمة .

° ° °

يحدد المؤلف غايته من وضع الكتاب ومسلكه في ذلك فيقول : (ان هذه الدراسة التي نحاولها في موضوع الحضارة تدور على محورين متلازمين وتعود الى حرصين متكاملين : حرص على ايضاح مفهوم أساسي من مفاهيم الحياة ، وعلى ربطه بسواه من المفاهيم الأساسية ، قصد الاسهام في تكوين نظرة حضارية صحيحة لدى الشعوب العربية تمكنها من ادراك تحديات حاضرها ومستقبلها وتراث ماضيها ادراكا أنفذ وأسلم وأدق . وحرص آخر ، لا يقل عن الأول خطورة ، هو أن يؤدي هذا الادراك ، في نتائجه العملية ، الى خير ردود ممكنة لهذه التحديات والى أبهى المكاسب الحضارية وأبقاها . وفي هذين الحرصين المتكاملين تتمثل المسؤولية المزدوجة المتحدة التي يجب أن ينطلق منها ويهتدي بها رجل الفكر . فليست محاولتنا هذه اذن محاولة نظرية متجردة فحسب ، على شدة ايماننا بالنظر والتجرد ، وانما نطمح الى أن نجمع الى هذا وذاك الاحساس الواقعي بالنتائج العملية ، والتقدير الواعي للارتباط المصيري الذي يربطنا شخصيا وقوميا وانسانيا بموكب الحضارة ، والذي يفرض علينا قبل كل شيء أن نفهم تكوين هذا الموكب وغايته وسبله) .

أسس الحضارة ومقاييس التحضر

من أهم القضايا التي عالجها الكتاب أسس الحضارة ومقاييس التحضر . أما أسس الحضارة فهي ، عنده ، تتأثر بعوامل ثلاثة رئيسية هي : العامل البشري بوجه عام ، وفعل القيادة في الابداع والتوجيه بوجه خاص ، ودور التربية في الحفظ والنقل والاعداد . وحول هذه الأسس والعوامل نجد بحوثا جادة مستفيضة كبيرة القيمة . أما مقاييس التحضر فقد جعل بعضها « ماديا » كالسيطرة على الطبيعة بالتجربة والتصنيع . وبعضها « نفسيا » أو « روحيا » مثل : « تنمية الحس والذوق بتأمل الجمال ... » ، وفي هذا يقول : « ان التحضر يقدر بمبلغ ما يدرك أبناء الحضارة أن الخير هو في (الغيريّة) لا في تفضيل الذات (الأنانية) . وبمدى تغلغل هذا الادراك في حياتهم الفردية والاجتماعية . وكلما خلص (الفرد) من الأنانية واتجه الى محبة الغير وخدمته وايثار كرامته كان أقرب الى الخير وأرقى في مراتب الغايات . وكلما اتسعت دائرة (الغير) وصفا الاحترام والمحبة المبذولان له ، جاء الخير أرفع وأغزر وأسنى . »

وهذا المقياس بالذات لسنا في حاجة الى القول بأن الحضارة تلتقي فيه مع الدين الذي يقول كتابه السماوي : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . ويقول رسوله الكريم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ويقول : (ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع الى جنبه) . ونجد في تاريخ صحابته أمثلة من هذه « الغيرية » قل أن يوجد لها نظير في تاريخ الحضارات والناس جميعا .

التطور من داخل النفس واستعارة أشكال الحضارة

الوصول الى « التحضر » وبلوغ مجتمع من المجتمعات درجة عالية فيه له طريقان : الطفرة ، والتدرج ، فأي الطريقين يختار ؟ الطريق الأول « الطفرة » سلكه بعض رجال التاريخ اختار منهم المؤلف ما فعله بطرس الأكبر في روسيا في العقود الأولى من القرن الثامن عشر ، وكمال أتاتورك في تركيا في العقود الأولى من القرن العشرين ، ثم يحكم على المحاولتين بالفشل : لكونهما مغايرتين « لطبائع الأحداث ولسنن الحياة ، فلسنا نجد في التاريخ أمثلة على الاندماج التام ، أو الشبيه بالتام ، الا عندما يكون المجتمع المندمج بدائيا هزيل التحضر ضئيل التراث » .

والنتيجة أن طريق التدرج « أضمن من طريق الطفرة وأفضل انتاجا ولكنه أبطأ وأطول ، ذلك أن الاقتباس الصحيح يتضمن تطورا بشريا داخليا ، ويتعدى ، كما قلنا ، استعارة المنتوجات المادية والأشكال الحضارية التي تحقق القدرات العقلية والانتظامات النفسية التي أنتجتها ، ومن طبيعة هذا التحقيق الأخير أنه بطيء متدرج ، وانه قلما تغني فيه الطرق المختصرة والخطى القافزة » .

ويرى الدكتور زريق ، لكي يبلغ المجتمع غايته من التحضر عليه أن يسلك سبيل التربية الذاتية : وان يكون تطوره من « داخل النفس لأفراده عن طريق التثقيف الصحيح والاقتناع والايمان والعمل المتدرج

المنظم المثابر ... والتربية بأوسع معانيها ونطاقها » .. وهنا يجب أن نذكر قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ليس بحثا نظريا مجردا

ومن هنا ندرك أن الاستاذ قسطنطين زريق في كتابه هذا ليس مجرد باحث نظري ، بل له مواقف ايجابية دافعة وبخاصة اذا تحدث عن مجتمعنا العربي ومشاكله وموقفه من معترك الحضارة . نجد هذه القوة الدافعة من المواقف الايجابية في مستهل الفصل السابع : « عوامل التغير الحضاري » ، ونجدها في : « مقاييس التحضر » — الفصل التاسع ، الذي اعتقد أنه أجمل فصول الكتاب — وبخاصة هذه الصفحات التي يحض فيها العرب على الاهتمام بالعلوم الطبيعية واستغلال خيرات الطبيعة والجمع بين العلم النظري والعلم التطبيقي ، فيقول : « ان المخترعات العجيبة والمستخدمات الرائعة التي تبهرنا في هذه الآونة ما كانت لتحدث لو لم يكن يماشيها تقدم سريع في استكشاف قوانين الطبيعة وفهم أسرارها . ان القدرة (التقنية) الهائلة التي حصلت للانسان جاءت نتيجة جهد جاد متصل في سبيل التفهم والادراك » .

وهو ، في حرصه على تقدم الوطن العربي في هذا المعترك العسير للحضارة ، يبدي غيرة صادقة على أمرين يتصلان اتصالا وثيقا بهذا المنزع التقدمي :

أ — الماضي والحاضر :

وهو في ذلك يدعو دعوة قوية مخلصة لاحياء ماضي وطننا العربي واستلهامه ، ولكن بعد غربلته وتصفيته من الشوائب والدخيل ، وقياس جدواه بالمقاييس الفكرية والروحية والعلمية التي ارتضاها للحضارة . وماضينا وتراثنا العربي هما ، عند ذلك ، ركيزة عاطفية وعملية تقوي تطورنا وتدفعه وتصونه . وماضينا وتراثنا غنيان بهذه القيم والمعاني . ويؤكد المؤلف أن « استعادة تراث غني بهذه القيم والمعاني تأتي أيسر عناء وأخصب نتاجا من محاولة استعادة تراث جدب واحياء ذخر ضئيل ، ذلك لما يغلب على هذه المحاولة الأخيرة من توهم طاغ وخيلاء فارغة » .

ب — الروح والمادة :

وهو ، في هذه الدعوة أيضا ، يحرص أشد الحرص على توازن الحضارة وان يوازن وطننا العربي في تقدمه الحضاري بين قوى الحياة المادية وقوى النفس الروحية والعاطفية . فقد رأيناه يجعل الذوق وادراك الجمال والحرص على عمل الخير (الايثار) مقياسا من مقاييس التحضر ، الى جانب التقدم المادي . وهو في صفحات أخرى كثيرة يؤكد حرصه — وحرص الحضارة الحقة المتوازنة — على ألا يكون هناك رجحان للجانب المادي على الجانب الروحي في حياة الناس ، وعلى ألا يكون الانسان مجرد آلة . ويقول أن الحضارات القديمة كان من أبرز فضائلها الحرص على هذه القيم الروحية. فالتقدم المادي ، عند الدكتور زريق وفي مقاييس الحضارة الحقة ، ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لسعادة الانسان واستكمال مقومات حياته وحضارته وهدوء نفسه . ولن يكون له شيء من ذلك الا بهذا « التوازن » بين قواه المادية والروحية . ولكن هذا الرقي هو ، في نهاية الأمر « فضيلة ذاتية تتحقق في الانسان نفسه . ولذا فالمرآة الصادقة لأية حضارة هي نوع الانسان الذي تنتجه وتتمثل به . لنأخذ أية حضارة شئنا : الهندية أو الصينية أو اليونانية أو العربية أو الروسية . ان عنوانها البارز هو الانسان الذي ولدته وتجلت فيه » .

والمؤلف ، مع طابع التفاؤل الحذر الذي يسود أكثر فصول الكتاب ، يبدي قلقه وخوفه من بروز التفاوت بين التقدم المادي والمعاني الروحية للانسان المعاصر ، في الشرق والغرب . ويدعو الى مزيد من الحرص والجهد لايجاد التوازن بين الناحيتين : (... ولكننا نجد أن التحسن الايجابي في هذا المجال — مجال الحياة الأدبية والروحية — لا يجاري الانطلاق الذي تنطلقه قوى المعرفة والتطبيق . ولذا نخشى هنا أيضا — أكثر من خشيتنا في أية ناحية أخرى — أن تتسع على الأيام الشقة بين هذين التطورين ، وأن تزداد المفارقة التي نتحدث عنها بعدا وضخامة ، وتشتد المشكلات الناتجة عنها تعقدا وخطرا . ان البشرية ستجد بين يديها وسائل وامكانات لخيرها ورقيها تتوافر يوما عن يوم ، ولكن قدرتها على الافادة من هذه الامكانات ستبقى فيما يبدو متلكئة ، بل ستزداد تلكؤا ، وسيتفاقم تخلفها الأدبي في هذا السباق الشديد ، وسيبعث هذا التخلف في السنوات المقبلة متناقضات داخلية أعسر فأعسر ومشكلات حضارية أضخم فأضخم) .

عاطفة عربية

وهو ، في هذه الاحاديث التي يعرف بها وطننا العربي بمقومات الحضارة الصحيحة ، ويذكر فيها بمقومات تاريخنا وثقافتنا التي يدعو الى الحرص عليها . في هذه الأحاديث نجد عاطفة عربية واضحة تذكر بالاعزاز والمحبة والتقدير عالما عربيا كابن خلدون وتسجل له سبقه علماء العالم الى بعض النظريات الصائبة في الحضارة .

وخلاصة ما يحرص الاستاذ المؤلف على دعوة وطننا العربي اليه ، ليفوز في معترك الحضارة ، خمسة أمور : « النظام » وحبذا لو كان « انتظاما » ينبع من داخل النفس ، والحرص على « الايجابية » وتقوية « الارادة الفردية » و « استخدام العقل » و « التسلح بالعلم » . وفي ذلك يقول : (... فعلى الشعوب العربية أن تقتنع اقتناعا ينزل الى أغوار نفوسها بأن لا سبيل لها للبقاء في المصطرعات الحاضرة والمقبلة الا بالتجهز بأجهزة العلم ، وباكتساب القدرات التي ييسرها في استغلال الثروات الطبيعية والبشرية وتنظيمها . ولسنا نعني بهذه الأجهزة أشكالها الخارجية والأدوات والآلات التي قد نحصل عليها من سوانا ، وانما نعني الدربة الفنية والاستطاعة العقلية والقدرة على الصنع والاكتشاف والاختراع) .

مباحث في الدين والحياة

وفي هذا الكتاب القيم مباحث في الدين ، فهو يرى أن للدين : (أثره العملي في توجيه السلوك الفردي والاجتماعي ، وفي تكييف النظم والمؤسسات ، وفي تحديد الفضائل والأخلاق والقيم . فهو بوجهتيه الايماني العقائدي والعملي السلوكي — مرآة صالحة تعكس لنا مفاهيم الحضارة وصورتها العامة) .

ومن النغمات الحلوة والدعوات الموجهة التي أعجبت بها تلك السطور التي يتحدث فيها فيقول ان فن الحياة ، أو « فن العيش » كما يسميه هو ، مظهر من مظاهر الحضارة . وهو في ذلك صاحب تألق ذهني وتأنق حضاري ودعوة لأن تكون الحياة متعة رائعة رقيقة جميلة ، فهو ، في فهمه الواسع للاداب والفنون ، يريد أن يتعدى روائعها الباهرة الى : « فنون المأكل والملبس والمخالطة والمحادثة التي تسبغ على العيش متعته وعلى التواصل الاجتماعي رونقه وطرافته . وليس الذي نشير اليه هنا عادات وتقاليد فحسب ، وانما هو ما تضمنته هذه التقاليد والعادات من ذوق مصقول ومن عناية به وحرص عليه . ومن هذا القبيل قد يرتفع صنع الأطعمة والأشربة وتناولها فيغدو « فنا » تتمايز فيه الأمم وتتفاخر . وكذلك آداب الاستقبال والمجالسة والمحادثة قد تصفو وترق عند بعض الشعوب فتصبح من رموز وجودها » .

تفاؤل وأمل

وروح الأمل والتفاؤل تبدو واضحة عذبة في كتاب الأستاذ زريق ، ولكنه لا يهوّن من مخاطر الحضارة القائمة وشرورها وآثامها ، ويتمنى لو وازنت هذه الحضارة — التي تغزو البلاد والقارات والناس — بين قدرتها المادية الهائلة التي حققتها عقول بنيها وبين مبادئها الروحية .

والحديث عن « أزمة الخلق والضمير » هذه في الحضارة المعاصرة أمر يشغل تفكير أهل الرأي والفكر في العالم كله الآن ، والخائفين على مستقبل الحضارة والانسان ، من « برجسون » الفرنسي الى « برتراند راسل » الانجليزي ، الى كثير غيرهما . ومن المصادفات اني قرأت في هذا الموضوع — مع كتاب الأستاذ زريق — فصلا جيدا للمفكر الفيلسوف الانساني « ألبرت شفيتزر » يتفق فيه مع ما قاله الأستاذ زريق اتفاقا تاما .

خصائص أسلوبه

يمتاز أسلوب الكتاب بالهدوء والصفاء والبعد عن « الغوغائية » والمغالاة ، حتى في تناوله أمورا يمكن أن تتصل بالجماهير . وبودي أن أنقل هنا بعض سطور منه مثلا لهذا الأسلوب المنطقي المتزن ، وهي تدل ، في الوقت نفسه ، على رأيه في الدين نستطيع أن نضمها الى ما ذكرناه في ذلك من قبل . « ان للدين أهميته الكبيرة في ذاته ومن حيث تأثيره في الحياة والتاريخ . ولسنا في مقام التصدي له من مختلف نواحيه ، بل نقف في هذا الموضوع عند ناحية واحدة منه فحسب ، هي دلالته الحضارية . انه في نظرنا ، ذو دلالة فائقة من هذا القبيل ، نظرا لما يتميز به من خواص . من هذه الخواص انه يتصل ، كما ذكرنا ، بأصول عميقة وجذور متغلغلة في الطبيعة البشرية . ومنها اتساع نطاقه وتعدد عناصره وتنوع وجوهه » .

ملاحظات هينة

الحديث عن مثل هذا الكتاب يطول ، لجودته وأهميته وحجمه ، وأعتقد اني عرضت منه قدرا كافيا ، كما عرضت أهم قضاياه ودعواته عرضا أرجو أن يشوق القارىء لمطالعته كله والافادة منه ، كما أفدت.

فلننتقل الآن الى الوجه الآخر من الحديث . ان أكثر ملاحظاتي على الكتاب تتناول الصياغة : من ذلك قوله « ... أعمال لا تنحصر » بمجرد « تحصيل العيش ... الخ » (ص : ٤٢) وأعتقد انه من الأفضل أن يقال : « في مجرد » ، أو « لا تنتهي بمجرد » ومن ذلك التزامه أن يكتب كلمة : « التاريخ » هكذا : التأريخ .. ، الا في الأقل الأندر ، ولكن بعض المواضيع من الكلام يجب أن تكتب فيها دون همزة ، وهي في ذاتها ليست خطأ .

وفي ص : (٦٣ — ٦٦) نجد كلمة : « الماجية » . وقد ندرك من السياق انها حضارة من الحضارات ، وبقي ان نعرف نسبتها .

وفي ص : ١٣٦ هذه الجملة : (... لا نملك من المعرفة ما يؤهلنا « لبت » هذه القضايا ... الخ) وكذلك نجدها في ١٦٣ وأعتقد أن صوابها أن يقال : « للبت » في هذه .. الخ ، لأننا لا « نبت » هذه القضايا نفسها ، بل نقطع « فيها » برأي ، ويساند ذلك الحديث الشريف : (لا صيام لمن لم يبت الصيام من الليل) .

وفي ص : ١٤٠ نجد هذه الجملة : (... فنجد المفاهيم — اليونانية مثلا تلقي « المفاهيم » .. الخ) وصحتها : تلتقي والمفاهيم ، أو بها أو معها ، ولعله خطأ مطبعي ، على ندرة ما نجد في الكتاب من خطأ الطبع . وفي ص : ١٥٧ نجد كلمة لا نفهم معناها ولم يشرحه وهي كلمة : « أوليغاركية » . وهو يقول ، في ص : ١٥٩ : (الأجسام السماوية) وهي ليست خطأ ، ولكني أفضل اللفظ الذي يستعمله علماء الفلك : « الأجرام السماوية » . ومع جمال الأسلوب وسلامته ويسره نجد مثل هذا التعبير — ص : ١٩٣ — : (وجوه اختلاف مذاهب هذا التعليل) وتتابع الاضافات فيه جعله ثقيلا . وفي ص : ٢٦٤ : (وقد قوي « زخمها » في المجتمع ... الخ) ، وكذلك في ص ٢٩٧ كلمة « زخمة » هذه لم أفهم معناها ولم أجدها فيما تحت يدي من المعاجم . وكذلك نجد كلمة : « الحول » ، ص ٣٠٧ و ٣١١ وهي وان كانت صحيحة فان كلمة « الحيلولة » أكثر لطفا وتداولا منها .

وهو يقول — ص : ٣٣٢ — : فبعضهم « يذهبون » ، والأحسن « يذهب » ويقول — ص : ٣٤٧ — (... ولكن بعض هذه الأقساط و « النصب ») وصحتها « الأنصبة » وفي ص : ٣٧٢ : (السرف والهدر) وصحتها : « الاهدار » وفي ص : ٤١٠ : (وكل ثورة لا تستند الى قناعة « فكرية ... الخ) وأعتقد أنه يريد أن يقول : « اقتناع » وفي الكتاب تكرار في بعض المواضع ، ولكنه تكرار غير ممل قد يكون الغرض منه التنبيه والتذكير .

• • •

ملاحظة واحدة موضوعية أذكرها بعد هذه الملاحظات اليسيرة في الصياغة .

في ص : ٧١ و ٧٢ يتحدث المؤلف عن العوامل التي تقرب بين الحضارات — أو أهل الحضارات — المختلفة ، فيذكر « التقنية » التي غزا بها الغرب بلاد العالم في تقريب الأبعاد والنقل والاذاعة ونشر المعرفة ولكن : ألا يدري أستاذنا قسطنطين زريق أن هناك مؤثرات وعوامل أخرى تعمل عملها في ذلك ... ؟ كالمنظمات العالمية ، مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظمات اليونسكو والصحة العالمية وأشباه ذلك ؟



أنشودة باسمة

للشاعر : الياس فنصل

ان كبر الخطب ، وأجت ناره ... فاهزأ بجمره ، وكن اكبرا
أيستطيع النهر مهما طغى ... اذا احتواه البحر ان يهدرا ؟

وما المصاب ان تقصّيته ... وغصت في النفس الى لجها ؟
ان الحياة لا تبالي به ... ولا تحيد منه عن نهجها

هل خيم الموت على صاحب ... كان لك السمع وكان البصر
أليست الأحداث أهدافنا ... طال علينا سيرنا أو قصر ؟

وهل فقدت ثروة ضخمة ... جمعتها مجتهدا ساعيا
قل لي : أما رأيت وجه الثرى ... من كل ما تزهو به عاريا ؟

م أنت في سجن تعاني به ... نأيا مبرّحاً عن العالم ؟
إنّ لك الخيال فاسرح به ... وطر ، كما شئت ، بلا راغم

وهل جفاك صاحب بعدما ... عاهد أن يصدق في وعده ؟
فابق على وداده ، وليكن ... حبك تعنيفا على صده

وهل عرتك علة تنطوي ... أعراضها على ضروب الألم ؟
لو لم يكن جسمك يقوى على ... جور العذاب ما حملت السقم

زد الوجود نغمة ان تكن ... تحسبه أنشودة باسمه
أو كان في عرفك افجوعة ... فلا تزده صفحة قاتمه !

تصحيح خطأ

ورد سهواً خطأ في تحريك كلمتي « فدية وطعام » الواردتين في الآية الكريمة المنشورة في عدد رمضان المبارك . والصواب هو « وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ ... ». وجل من لا يسهو .

الومضات

بقلم
الاستاذ عبدالله ابو العينين

الأمل معناه أن نحاول دائما الوصول الى ما نريد بالعمل ، فالفشل لا ينبغي أن يزيدنا الا اصرارا على العمل الدائب لكي نبلغ النجاح .

• • •

الاخلاص للاخلاص هـــو الاخلاص حقا ، فاذا أتى الاخلاص بثمره فهذا جميل ، لأنه يدل على أن الأرض المحيطة به خصبة تثمر تقديرا ومحبة . أما اذا كانت الارض جدبة فلا ينبغي أن نتخلى عنه ، لأنه كالذهب قيمته فيه .

• • •

يقول اللورد شسترفيلد في وصيته لابنه (ان قيمة اللحظات اذا جمعت هائلـــة لو اننا أحسنا استخدامها ، واذا بعثرناها فان خسارتها لا تعوض . ان كل لحظة يمكن استخدامها بطريقة ما ، ويتم هذا بسرور أكبر مما لو اننا لم نستخدمها . ولا تتصور انني أعني باستخدام الوقت ، المثابرة التي لا تنقطع عن الدراسات الجادة ، كلا . ان التسرية عن النفس ضرورية ونافعة بنفس القدر ، فانها تصوغك لتتمكن من العيش في هذا العالم ...)

• • •

يا رب الهمني التصرف الحكيم في الوقت الذي أرى فيه ما لا تتحمله أعصابي ولا تصبر عليه نفسي .

• • •

أبكي ، لا ، لن أبكي ، لن يفيدني البكاء شيئا . أضحك ، أجل ! لا بد من ذلك ، سأضحك ، سأتعلم كيف أضحك ، واذا تعلمت فسأعرف كيف أعيش . نعم سأترك البكاء للباكين والمتباكين ، وسأضحك لكي أعيش على الأقل مفتوح العينين .

• • •

لا بد ان نبذل جهدنا في العمل الذي نقوم به لكي نرضي ضمائرنا فلا تؤنبنا ان أخفقنا .

• • •

قال الأحنف بن قيس (الــزم الصحــة يلزمك العمل) .

لكي نعمل لا بد ان تتوفر لنا الصحة ، فالانسان المريض لا يستطيع أن يعمل ، وصحتنا تتطلب الاعتدال في الطعام والشراب ، فلا افراط ولا تفريط وخير الأمور الوسط .

• • •

قال أحدهم ان ثمة نوعين من الناس لا يبدلون آراءهم ولو كانت خاطئة . الأغبياء ، والموتى .

من المهم أن تروض نفسك على عدم الغضب ، وتعدها لذلك اعدادا ، والا فانك ستجد دائما ما يغضبك في حياتك الخاصة والعامة . يجب أن تكون لك فلسفة جاهزة ، تستخدمها عندما يصادفك ما يثير غضبك وان لم تفعل فستجد ما يزعجك في غدوك ورواحك وستبدو دائما في حالة انزعاج ومجال سخرية الناس .

• • •

نقرأ لنفهم ، ونقرأ أكثر لينمو فهمنا ، وهذه احدى فوائد القراءة التي لا تقدر بثمن . ان أعظم المشاكل في هذه الدنيا ناشئة عن عدم فهم البعض للبعض الآخر — سواء أكان هذا البعض دولا أو أفرادا .

• • •

عندما نعجز عن انجاز ما نرغب لضعف في ارادتنا ، نعتذر عن عدم تمكننا ، بكثرة مشاغلنا ، وعظيم مسؤوليتنا وننسى أن كثيرين ينجزون مثل ما نرغب وأضعاف ما نريد ، وربما يكون لديهم ما لدينا من مشاكل . والسبب هو أن لديهم الارادة القوية ، ولا يتعللون بالمعاذير .

• • •

نفوسنا تلك الجواهر الثمينة ، ينبغي ان نحافظ عليها لتبقى كما هي ، فلا نعرضها لصدأ السؤال وبخس المنال . قال أحدهم :

وأكرم نفسي انني لــو أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدي

• • •

دع الحاقد لحقده يأكله ، ولا تدع منفذا لناره للخروج من داره .

• • •

حياتنا تتطلب الايمان ، الكد ، الصبر ، المثابرة ، المرونة ، الحب ، سعة الأفق ، التفكير ، التسامح ، والتضحية ، وغير ذلك مما يشعرنا بالسعادة .

• • •

لا عيب في أن يكون الانسان فقيرا ، ولكن العيب كل العيب في أن يكون الفقر نتيجة للكسل . لا عيب في فقر يصحبه كد وعمل ، وانما العيب في فقر يستمرئه صاحبه فلا يعمل .

• • •

حين يصيبك الغرور وتتسرب الى نفسك الكبرياء تذكر قول الأحنف بن قيس (ما تكبر أحد الا من ذلة يجدها في نفسه) .

من تراث العرب

في رسائل الوصايا

كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بعض قواده يوصيه فقال :

أما بعد : « فاني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو . وأقوى المكيدة في الحرب . وان تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم . فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة . لأن عددنا ليس كعددهم . ولا عدتنا كعدتهم . واعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون . فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على انفسكم . كما تسألونه النصر على عدوكم . »

في وصف التاريخ

قال ابن الأثير : التاريخ معاد معنوي ، يعيد الاعصار وقد سلفت . وينشر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت . وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرّا . ويلقى من قبله من الأمم وهلم جرّا . ولولا التاريخ لجهلت الأنساب ونسيت الأحساب . ولم يعلم الانسان أن أصله من تراب .

في وصف القلم

القلم أحد اللسانين . وهو المخاطب للغيوب ، بسرائر القلوب . على لغات مختلفة من معان معقولة . بحروف معلومة . لقاحها التفكر ونتاجها التدبير . فهو أصم يسمع النجوى . وأخرس يفصح الدعوى ، وجاهل يعلم الفحوى . إن وعظ أسمع . وإن أبكى أدمع ، وإن ضرب أوجع . يفيدك ولا يستفيد منك . ويزيدك ولا يستزيد منك . فهو قبر الأسرار ، ومخزن الودائع . وينبوع الحكم . ومعدن المكارم ، فأكرم به من صاحب . وأعزز به من موافق .

طرائف

أنا اقتنعت بأنني انسان !

أصيب رجل بجنون فتوهم نفسه حبة قمح . وكان كلما شاهد دجاجة فرّ من امامها خوفا من أن تأكله . ولما ألحق بمستشفى الأمراض العقلية راح طبيبه يقنعه بأنه انسان وليس حبة قمح . ولما اقتنع بأنه انسان اراد الطبيب أن يتبين مدى صحة ذلك ، فأوعز الى أحد الممرضين بإحضار دجاجة . وحالما رآها المجنون لاذ بالهرب . وهنا سأله الطبيب عن ذلك فأجابه قائلا : اقتنعت بأنني انسان ، ولكن .. هل اقتنعت الدجاجة بأنني لم أعد حبة قمح ؟!

توصية

قال الجاحظ : سألني بعضهم كتابا بالوصية الى بعض أصحابي ، فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندي فضها فاذا فيها : « كتابي اليك مع من لا أعرفه ، ولا أوجب حقه . فان قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك ! »

ما رأيت خصمين أشد جدلا منهما

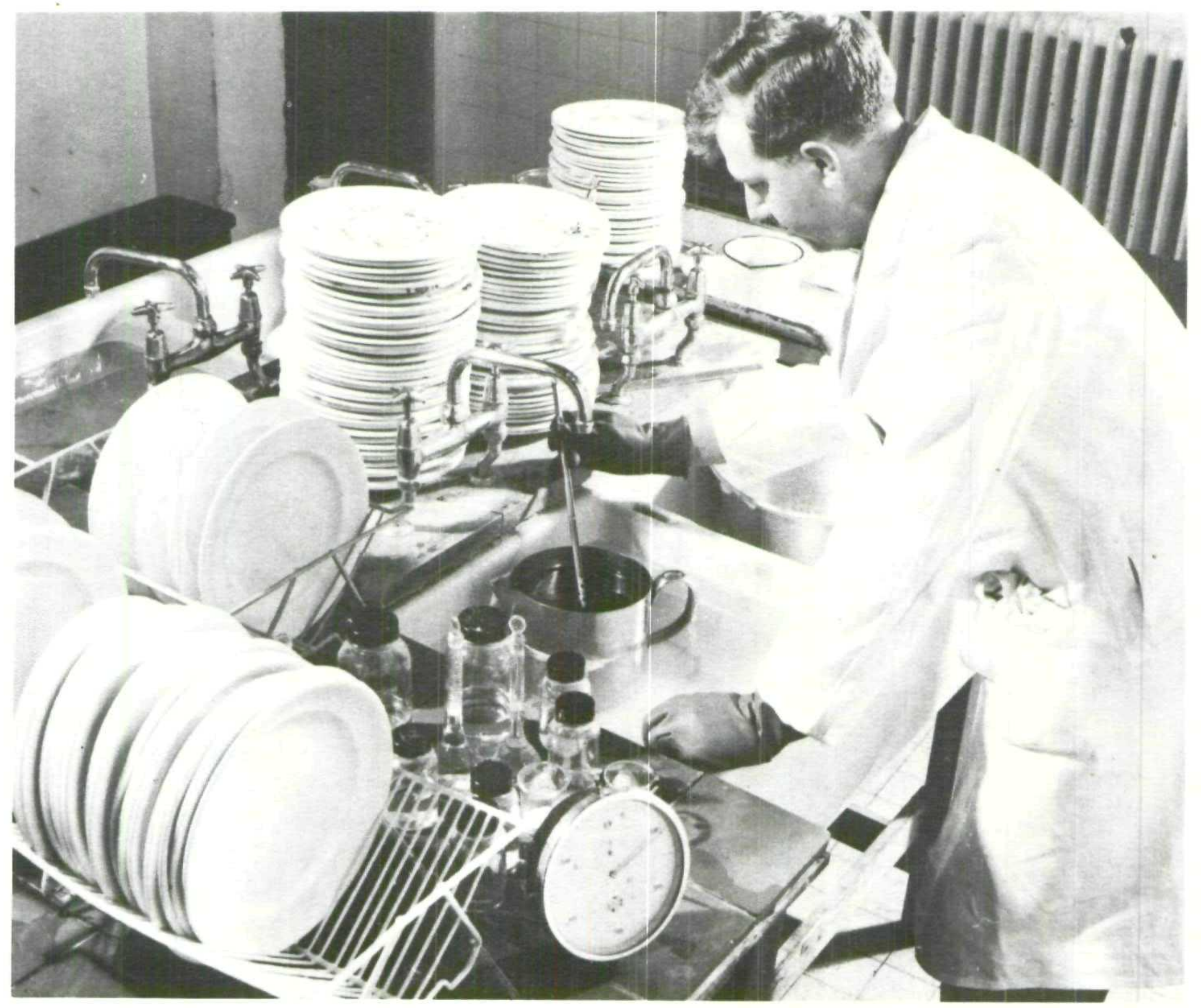
قال أحد الأمراء لأشعب : ما تقول في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب ؟

فقال : أنا لست ممن يقضي بين غائبين .

فضحك الأمير وأمر باحضارهما .

فجعل أشعب يأكل من هذا لقمة ومن ذاك لقمة . فلما قضى عليهما قال : أقسم لمولاي بأني ما رأيت خصمين أشد جدلا منهما ... كلما أردت أن أقضي لأحدهما ادلى الآخر بحجته .

مُركّبات التنظيف الكيماويّة



احد الخبراء الفنيين يقوم بفحص درجة حرارة محلول حاو على مركب تنظيف كيماوي قبيل تحديد مدى فعاليته في تنظيف الصحون . وتتم هذه العملية بغسل عدد من الصحون ، الواحد تلو الآخر ، حتى تزول الرغوة وهكذا ...

مركبات

التنظيف هي عوامل كيماوية تستخدم مبدئيا بمثابة مواد اضافية تساعد المياه على انجـاز عملية التنظيف وتسهيلها . فالماء وحده لا يزيل الأوساخ بسهولة . ولا ينظف الأواني الملوثة بالمواد الدهنية . وهـذه الأوساخ ان هي الاذرات قاسية من مواد غريبة غالبا ما تغطى بطبقة من الزيت أو الدهن تجعلها تلتصق بالقماش أو سطح الوعاء . فاذا ما أضيف مركب التنظيف الى الماء ، أكسبه خاصتين اثنتين هما : القدرة على تبليل السطح جيدا واذابة الأوساخ . والقدرة على ابقاء ذرات الأوساخ المذابة مفككة في شكل يمكن عنده شطفها بالماء بسهولة .

هذه القدرة التنظيفية هي وليدة تركيب جزيئات مواد التنظيف عينها . فكل جزئ يحتوي على مجموعتين من الذرات . احديهما تذوب في الزيت والدهن والشحم ولا تذوب في الماء . والأخرى تذوب في الماء . بيد أن هاتين المجموعتين ملتحمتان معا بطريقة تجعل مركب التنظيف الجاهز يحتفظ بصفات كل منهما .

فلدى غسل أي جسم لزج بمحلول من الماء ومركب التنظيف ، تبدأ المجموعة الأولى من جزيئات المركب بالذوبان في المادة اللزجة ، بينما تبقى المجموعة الأخرى منه ذائبة في الماء وملتحمة في الوقت نفسه بالمجموعة الأولى . وهكذا . فانه عندما يفرك هذا الجسم بغية تنظيفه تنفصل عن سطحه ذرات الدهن المفككة وتبقى عالقة في الماء .

انأكثر مركبات التنظيف التقليديـة شيوعـا . هو الصابون الذي استعمله الانسان منذ القدم . ولا يعرف بالضبط العهد الذي يرجع اليه تاريخ صناعـة الصابون ، وانما أول ما ورد ذكره عن هذه الصناعة هو ما جاء على لسان الكاتب الروماني « بلني » (٢٣ – ٧٩م) حيث قال ان قبائل « الغال » استعملت الصابون كمادة للزينة ؛ اذ كانوا يستخرجونه من شحم الماعز ونشارة خشب الزان . أما استعمال الصابون في تنظيف الثياب ، فربما يرجع الى عهد الرومانيين القدماء ، حيث كانت مياه نهر « التيبر » في ايطاليا ، آنذاك مشهورة بقوتها الخارقة في التنظيف . فعلى هذا النهر بالقرب من تلة « سابو » كان المواطنون يغسلون ثيابهم في مياهه .

وتشير المصادر التاريخية الى أن أصل كلمة صابون مشتقة من الكلمة اللاتينية « سابو » ، وقد أخذت هذه اللفظة تشق طريقها الى معظم اللغات الحية مع اختلاف بسيط في اللفظ .

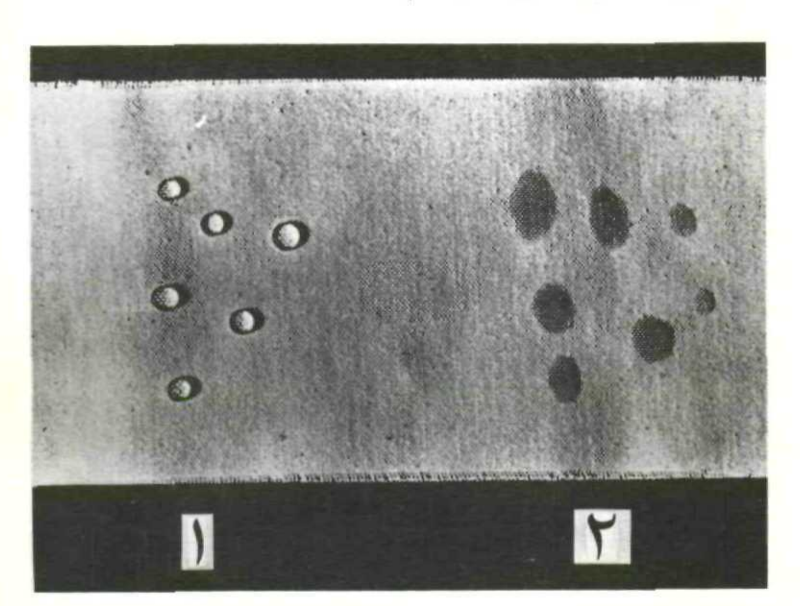
وفي القرن الثالث عشر انتشرت صناعة الصابون من ايطاليا والمانيا الى فرنسا ، ثم انتقلت بعد ذلك الى انجلترا حيث ازدهرت وانتعشت . وخلال القرن الرابع عشر ، تعرضت صناعة الصابون الى مزيد من التحسينات ساعدت على تطويرها وتحسين صفاتها . وحلت شحوم بعض الحيونات وزيوت النباتات الطبيعية مكان الشحوم المستخلصة من الماعز .

مساحيق الصابون

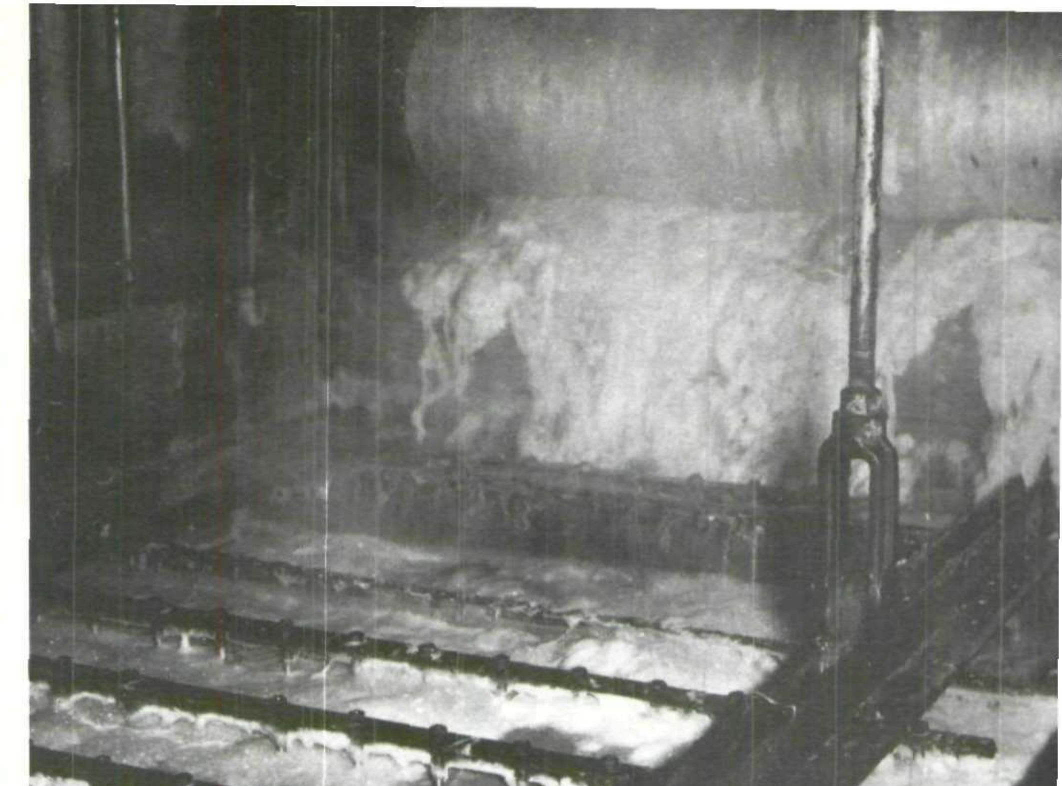
وفي الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، بلغ مجموع ما انتجته انجلترا وحدها من الصابون بين ٧٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ طن سنويا . ثم أخذ الاقبال عـلى استعمال الصابون يتزايد تزايدا ضخما في مختلف انحاء العالم . بيد أن تطور صناعة مساحيق الصـابون الجافـة في عـام ١٩٢٥ قد سهل عمليـة تناول الصـابون في شـكل جعلـه يقبل الذوبـان بسهولة .

على أن الحاجة الى أنواع الدهن الطبيعية أثناء الحرب العالمية الأولى واستعمالها في اغراض التغذية بدلا من استعمالها في صناعة الصابون ، قد حدت بالعلماء الى القيام ببحث علمي واسع لايجاد مركبات تنظيف مماثلة يستعاض بها عن الصابون . وبالفعل ، تمكن هؤلاء من انتاج مركبات للتنظيف بصورة تجارية صنعت كليا من مواد خام كيماوية وقد تم ذلك في المانيا ابان الحرب العالمية الأولى . وأول مركب تنظيف كيماوي تم انتاجه من البترول كان في أواخر الثلاثينياتمن القرن العشرين ، وقد ازداد استعمال هذه المركبات خلال الحرب العالمية الثانية ازديادا مطردا ، لا سيما عندما حولت الموارد الطبيعية المتوفرة من الدهن والزيوت ، الى صناعة مواد غذائية .

وتطورت صناعة مركبات التنظيف الكيماوية بعد الحرب العالمية الثانية تطورا خياليا حتى أصبحت تسد ٥٠ في المائـة من حاجة الأسواق العالمية الى الصابون . كما انها نمت أكثر ما نمت في الولايات المتحدة الأمريكية حيث ارتفعت منتجاتها من مواد التنظيف من ٤ في المائة في عام ١٩٤٥ الى حوالي ٨٠ في المائـة في عام ١٩٦٤ .



(الى اليسار) نقط من المـاء على قطعة من القماشالقطني. (الى اليمين) بعد اضافة كمية ضئيلة من مركب التنظيف الى المـاء على القطعة نفسها.



مركبات التنظيف التي لا تتأين ، هي أفضل أنواع المركبات المستخدمة في صناعة النسيج .

الخامات البتروكيماوية

ان الوضع الحالي بالنسبة لمواد التنظيف الصناعية في الأسواق العالمية ، لم يكن ليتم التوصل اليه لولا وجود الخامات البتروكيماوية . فتطور التقنية المستمر في الصناعات البتروكيماوية خلال العقد الأخير ، جعل من الممكن تركيز هذه المواد وتخفيض تكاليفها . كما انه في الوقت نفسه ، ازدادت أسعار الزيوت والشحوم الطبيعية التي تعد أهم المواد الأساسية التي تقوم عليها صناعة الصابون .

هنالك عوامل أخرى كان لها تأثير كبير في رجحان كفة مركبات التنظيف الصناعية على كفة الصابون وأبرز هذه العوامل هو عدم تأثرها بالمياه العسرة . فالصابون ، لدى استعماله في المياه العسرة ، يتفاعل كيماويا مع الكلس الطبيعي وملح المنغنيز الذائبين في المياه ، ويكون عندئذ رغوة على سطح الماء . أما مركبات التنظيف الكيماوية ، فضلا عن تفاعلها مع الاملاح فانها تحتفظ بفعاليتها وقوتها التنظيفية كما انها في الوقت نفسه تحدث ، رغوة في المياه العسرة واليسرة على حد سواء .

المواد الاضافية النافعة

تحتوي مساحيق التنظيف الجاهزة عادة ، بالاضافة الى مادة « السلفونيك » . على عناصر كيماوية أخرى تدعى باسم « عناصر الأساس » . وهي عبارة عن فوسفات وسليكات . يضيفها صانعو مركبات التنظيف بغية تحسين فعالية هذه المساحيق . كما يضاف الى المسحوق كميات قليلة من العناصر الأخرى الخاصة بالتلوين وتركيز الرغوة وغير ذلك من مواد التنقية التي تجعل الغسيل أكثر بياضا مما لو غسل باليد .

فمركبات التنظيف الاصطناعية تضاهي في فعاليتها الصابون المصنوع من شحوم الحيوانات أو الزيوت النباتية ، كما ان طريقة صنعها تشبه في الواقع طريقة صنع الصابون التقليدي .

ففي صناعة الصابون مثلا . يضاف الحامض الى الدهن الطبيعي للحصول على حامض دهني ، ومن ثم تضاف القلويات الى الحامض الدهني للحصول على الصابون ، أما في صناعة أي من مركبات التنظيف ، فيضاف الحامض الى الدهن الاصطناعي لانتاج الحامض الدهني ، ومن ثم تضاف اليه المادة القلوية لانتاج مركب التنظيف .

أما المجموعة الأخرى الرئيسية من مركبات التنظيف البترولية الأصل والشائعة الاستعمال ، فهي « مكثفات أوكسيد الايثلين » (Ethylen Oxide Condensates) . وهي ناتجة كما يدل اسمها ، عن عملية تكثيف يتم بواسطتها امتزاج أوكسيد الايثيلين بالكحول أو الفينول أو الحامض الدهني . وهذه المكثفات ، كمجموعة ، تعرف عادة بأنها مركبات تنظيف غير قابلة التأين ، وذلك لأنها لا تتأين ولا تشكل ذرات مشحونة بالكهرباء أثناء ذوبانها في الماء . بيد أن هناك أنواعا عديدة من مساحيق التنظيف لا تتأين ، وهي تختلف في صفاتها تبعا لنوع الكحول أو الفينول أو الحامض الدهني المستخدم في عملية التفاعل . فمنها ما لا يذوب في الماء وانما يمكن مزجها بأنواع أخرى من السوائل ، كالمذيبات الايدروكربونية التي لا تمتزج أيضا بالماء . ومنها ما لا يتفاعل مع الحوامض . وصفة عدم التأين في هذه المركبات تكسبها تركيزا مما يجعلها ذات قيمة في عمليات تنظيف الثياب .



مركبات التنظيف السائلة ذات الاستعمال الواسع في المنازل تستعمل **أيضا في** تنظيف السيارات وغسلها .

تستخدم كميات كبيرة من مركبات التنظيف في مصانع تحضير الأطعمة وتعليبها اذ أن جميع الأواني والآلات المستخدمة في عمليات التحضير يجب **أن تبقى نظيفة باستمرار .**



فوائد مركّبات التنظيف

ان فوائـــد استعمال مركبات التنظيف في الأغراض المنزلية معروفة للجميع . فالمركبات التي هي على شكل مسحوق تستعمل غالبا في غسل الثياب . والملابس الكتانية وما شابه ذلك . أما مركبات التنظيف السائلة فتستعمل في غسل الصحون والأرض . والسيارات . كما انها تعتبر أحد المركبات التي تصنع منها مواد تنظيف الشعر والسجاد .

كذلك توجد كميات كبيرة من المركبات السائلة تستخدم في عمليات تنظيف المكاتب . والمدارس والمستشفيات . والفنادق . وعربات القطـــار والطائرات . هـــذا وتستخدم مركبات التنظيف المشتقة من البترول على نطاق واسع في مجالات الصناعة لا سيما في مراحل صناعة الأنسجة .

أما بالنسبة للمغاسل التجارية فهناك أخلاط خاصة تصنع من مختلف أنواع مركبات التنظيف لهذا الغرض . وهذه الأخلاط تكون عادة على شكل مسحوق أو معجون . وهي تحتوي على مادة قلوية تزيد من فعاليتها في ازالة الأوساخ والدهون .

ويستعمل المهندسون الصناعيون مركبات التنظيف في عملية ازالة الشحوم عن المعادن لا سيما تلك الأنواع التي لا تتأين ولا تحدث رغوة كثيرة أثناء الغسل بالماء المضغوط .

هذا وتستخدم مركبات التنظيف في مجالات متعددة كالتعدين . وصناعة الجلد والفرو . وصناعة المطاط . الى غير ذلك من الصناعات التي لا حصر لها .

استخدام المركبات في مصانع تحضير الطعام

تستعمل كميات كبيرة جدا من مركبات التنظيف في معامل حفظ الأطعمة وتعليبها . فالمعدات والآلات المستخدمة في عملية التحضير . وكذلك العلب لا سيما المصنوعة من التنك ، يجب أن تبقى جميعها نظيفة ومعقمة .

وهكذا . فان مركبات التنظيف الصناعية تحظى بشهرة واسعة لكونها تحدث الكثير من الرغوة التي تعتبر عاملا أساسيا في عمليات الغسل المنزلية وأعمال التنظيف الأخرى . وقد ازداد استخدام مركبات التنظيف ازديادا كبيرا في السنوات الأخيرة ، وراج استعمالها في مختلف المجالات .

عن مجلة « بتروليوم غازيت » ـ باذن خاص

ترجمة : عصام العماد

قصة قصيرة

خريف

بقلم : الاستاذ عيسى الناعوري

جلست (عيدة) وحيدة عند مدخل كوخها الصغير المنخفض السقف. والمبني من الحجر والطين . وأسندت مرفقيها الى حجارة السور المتراكم بعضها فوق بعض دون هندسة ودون تماسك . ثم راحت تنظر أمامها الى الحقول المترامية الجرداء . التي يخيم عليها عبوس الخريف .

كان الخريف على الأرض يعكس ظلا مريرا من الخريف الذي تعانيه في داخلها . الأرض الممتدة أمامها الى الأفق البعيد . بروابيها ووديانها . بصخورها ومنبسطاتها . بأشجارها التي تتقاذف الرياح الجافة أوراقها الصفراء الميتة وتبعثرهـا على الأرض وفي الفضاء خفيفة كريش العصافير ، وبقايا القصل من أثر حصاد الموسم الماضي . ما تزال تلمع لمعانا خابيا في أشعة الشمس التي فقدت حرارتها . كل ذلك كان صورة للخريف القاسي الرهيب الذي يعتلج في أعماقها . ويعذب بقايا أيامها .

وتمتد يدها الى خصلة من شعرها تدلت فوق عينيها . انها خصلة بيضاء . لا حيوية فيها ولا سحر . كهذه الأرض التي فقدت زهوة الربيع . وكهذه الحدائق التي خلت من خضرة الشجر ومن طراوة الثمر .

انها وحيدة في هذا الكوخ الصغير . المحاط بسور من الحجارة المختلفة الألوان والاحجام دون انسجام . وكوخها غرفة واحدة صغيرة . لا يزيد ارتفاع سقفها على مترين . جدرانها مطلية بنقيع التراب الابيض . وأمام الكوخ حوش لا تزيد مساحته على ثلاثة أمتار طولا ومترين عرضا . يتخلله موقد تشعل فيه (عيدة) الحطب . أو الشوك . لكي تطهو طعامها . أو تخبز بضعة أرغفة على « الصاج » .

ان هذا الموقـد المملوء بالرماد الكئيب البارد لأشبه بعمرها الذي فقد كل حيوية وكل رونق . رماد كئيب بارد ... ذلك هو عمرها كما هو الآن ... وثوبها الأسود الذي يدفن تحت طياته الثلاث السميكة جسدا كان في يوم من الأيام حلم الشبان وربيع أشواقهم ... ان سواده الآن ليس سوى معنى ثقيل بغيض من معاني الحداد الدائم على العمر الذي ضاع . والجسد الذي تغضّن . وجفت فيه عناصر النضارة والفتنة .

وفي الحي أمامها ومن حولها أطفال يلعبون . ويمرحون . ويركضون . ولكن كوخها لا تتردد بين جدرانه العابسة ضحكة طفل ... لم تتردد فيه قط ضحكة طفل ... ولا يتردد عليه أولاد ولا بنات ليلعبوا فيه مع ولد أو بنت . انه قفر جديب ... قفر كتلك الجبال الجرداء التي تراها بعيدا . لا شيء غير الصخور الصماء الميتة . غرفتها وقلبها . كلاهما قفر جديب تتردد فيه أصداء عواء بعيد رهيب ... كما تتجاوب الوديان في ليالي الشتاء والزمهرير بعواء الذئاب والثعالب الجائعة .

خمسون عاما . أو لعلها أكثر من ذلك أو أقل ، لا تدري . فليس لها اسم في سجل المواليد ، لأنه لم يكن في عهدها سجل مواليد . كل ما تعرفه أن أبويها كانا يؤرخان مولدها بزلزال كبير حدث في القرية ودمر عددا من بيوتها الفقيرة . فزاد أهلها فقرا على فقر . وقد ولدت عيدة بعده باسبوع واحد . فتوسم فيها والداها الشؤم منذ ولادتها . ولكن متى كان الزلزال ؟ وفي أي عام ؟ انها لا تدري . ولا كان أحد من ذويها يدري . وليس في شيوخ القرية وعجائزها من يدري . لقد حدث الزلزال منذ خمسين سنة . أو لعلها أربعون سنة . أو ستون ... هذا لا يهم . فعشر سنين أو عشرون سنة لا أهمية لها في حساب عمر ضائع . في عام الزلزال الكبير كان مولدها . ولكن ما أهميـة الزلزال في تذكارات حياتها ؟ لا شيء . لا شيء على الاطلاق . ومن الخير أن ننساه أو على الأصح أن تنساه عيدة . لأنه يذكرها بالشؤم الذي كان أبواها يقولان انها جلبته معها يوم مولدها . المهم انها وصلت الى الخمسين من عمرها . أو لعلها تجاوزتها قليلا أو كثيرا . وهي الآن تعيش خريفا في العمر . وخريفا في القلب . وخريفا في الجسد والروح معا .

حتى العشرين من عمرها كانت عيدة حلم كل شاب في القرية . وقبل العشرين ، قبل العشرين بسنين كثيرة وهي طفلة بعد ، كانت هي الحلاوة في كل اجتماع يجتمعه أطفال الحي :

وجــه أبهى من طلعة القمر في ليالي الصيف الحلوة . وشعر أنعم من شلة الحرير الثمين ، وقوام غض طري يتثنى كأغصان الحور عند العين ، وعينان أصفى وأجمل من كل مياه الينابيع المتفجرة في كل مكان في القرية . وأسنان بيضاء صغيرة أجمل من كل الأقاحي التي تنبت في الحقول . وابتسامة ليس لها من وصف سوى انها تسبي القلوب وتسحر الالباب . فاذا تحولت الى ضحكة اجتمع فيها غناء كل العصافير في الحدائق في ميعة الربيع .

كان الأطفال في القرية يحبونها وهي طفلة . فلما كبرت وكبروا كبر معهم حبهم لها . فكانت ملتقى أحلامهم . وكانت تحس بذلك كله وتنتشي به . وزاد بها الزهو والانتشاء فصارت ترى نفسها أكبر وأهم من شبان القرية . انها لا تريد أحدا منهم . بل تريد واحدا من هؤلاء الموظفين الذين يجيئون من المدينة بين الحين والحين . وينزلون عند أبيها . عمدة القرية . لتخمين المحصول . أو لجباية الضرائب . أو لبعض الأمور الرسمية الأخرى . انهم يلبسون الثياب النظيفة . والأحذية اللامعة . بعكس شبان القرية ذوي الثياب الوسخة الفقيرة المظهر . والذين جعل طول الحفاء لأرجلهم طبقات سميكة من الجلد القاسي الذي لا يبالي بالحجارة والشوك في دروب القرية الوعرة . وأغناهم بذلك عن لبس الأحذية .

حين كان موظفو المدينة ينزلون عند أبيها المختار كانت تسترق النظر اليهم من خلف الستائر . وكان قلبها القروي الساذج يمتلىء اعجابا بملابسهم النظيفة . وأحذيتهم اللامعة . وطريقة حديثهم المهذبة . والتي تخفي وراء تهذيبها نوعا من السخرية بحياة الفلاحين الخشنة . كانت تراهم لونا جديدا من البشر يختلف عن أبناء القرية كل الاختلاف . وكانت تعجب كذلك بخيولهم المربوطة في « الحوش » تطحن بأسنانها الشعير الذي تمتلىء به علائقها . حتى خيولهم في المدينة تختلف عن خيول القرية . انها نظيفة سمينة من كثرة العناية الدائمة . لا هزيلة كما تبدو لعينيها خيول قريتها .

واكن لم يتقدم أحد من هؤلاء الموظفين لطلب يدها . لعله لم يقع نظر أحد منهم عليها أثناء ترددهم على بيت والدها المختار مرة أو مرتين في العام . أو لعل الذي رآها منهم مرة لم يتح له أن يعود الى القرية مرة أخرى ليتملى من جمالها بحيث يتمكن حبها من قلبه . أو لعل هناك أسبابا أخرى لا تعرفها ! المهم انه لم يحاول أحد من موظفي المدينة أن يطلبها . وان يحملها معه لتعيش في المدينة ... وشبان القرية يتحرقون شوقا للاقتران بها . ولكنهم لا يجرؤون على خطبتها . فقد أشيع أن والدها لن يزوجها الا بمهر لا يقل عن ثلاثمائة ليرة ذهبية عثمانية ... وهذه ثروة ضخمة لا قبل لأحد من شبان القرية الفقراء بها . ولا بما هو قريب منها . لعل أباها كان مثلها يحلم بأن يخطبها أحد الموظفين الذين يترددون على منزله من أبناء المدينة ...

ومضت الأعوام تكر والجمال النادر حبيس ممنوع . وتوفي والد عيدة . وبعد ثلاثة أعوام توفيت أمها أيضا . وبقيت عيدة وأخ لهــا لم يلبث ان تزوج . فأصبحت عيدة – وقد تجاوزت الثلاثين ببضع سنوات – تشعر بالوحشة الشديدة . انها الآن لن ترد طالبا . ولن يجرؤ أخوها على طلب مهر كثير ... أية يد تمتد اليها ستقبلها دون تمنع . فقد أصبحت في حاجة ماسة الى الزواج . والى بيت وأسرة . لا تريد أن تكون عالة على أخيها وزوجته . بل تريد أن يكون لها رجلها . وبيتها . وأسرتها . انها لتقترب من الخريف ... من صقيع العمر ... مــن الجفاف والجدب والخواء . وهي لا تريد أن تصل الى تلك المرحلة وحيدة . بل تريد يدا أخرى قوية تمسك بيدها في المفازة الرهيبة . تبدد وحشتها ومخاوفها وتحول عواء العاصفة المزمجرة في أذنيها الى أصوات أنيسة لا رعب فيها .

وتقدم لطلب يدها كهل من القرية ماتت زوجته قبل عامين دون أن تنجب له أولادا . فأصبح وحيدا يحس بعواء العاصفة المرعب مثلها ويريد يدا لطيفة تمسك بيده . وروحا أنيسة لطيفة تسير بجانبه في المفازة الجرداء ... انه في الخامسة والخمسين من عمره . وله حقل . وكرم صغير ينتجان ما يضمن له عيش الكفاف .

وأحست عيدة وهي تزف الى سلامة بأنها قد استعادت اطمئنانها الى الحياة . فقد أصبحت ذات بعل يرافقها في الطريق المقفر . سيمتلىء بيتها بالحياة بعد الآن . ويزول من حياتها معنى الجدب والوحشة حين يمتلىء البيت بأصوات الأطفال وضجيجهم ومرحهم .

وعاشت عيدة مع سلامة سبع سنوات ، أنجبت له فيها خمسة أولاد وبنات . ولكن لم يعش منهم أحد : كان الطفل منهم يولد ميتا ، أو يموت بعد الولادة مباشرة ، أو يعيش بضعة أشهر فقط ثم يموت . وكان هذا يملأ قلب عيدة وزوجها بالحسرة ، ومــع الحسرة الخوف من مستقبل أسود عقيم لا لذة فيه .

وأخيرا قضى سلامة بمرض خبيث لم يمهله أكثر من أسابيع قليلة . وبقيت عيدة تعيش في وحدة وفراغ رهيبين . وتستقبل الخريف العابس الجاف وحيدة في كوخها الصغير ذي السقف المنخفض . المحاط بسور من الحجارة التي لا هندسة فيها ولا نظام . انها تأكل وحيدة ، وتنام في الليل وحيدة مع أشباح أطفالها الذين لم يعش لها منهم أحد . وزوجها الذي قضى بالمرض الخبيث . وخلف لها حقلا وكرما لم تلبث ان باعتهما بثمن بخس لتعيش بالثمن ما بقي لها من أيام .

ان الحقول المترامية أمامها لتعكس الخريف العابس البغيض الذي تمتلىء به نفسها . فلا يد تمسك بيدها في المسيرة الموحشة . ولا أنفاس تؤنس وحشتها في المفازة الرهيبة المملوءة بعواء الذئاب والعواصف المزمجرة ... والنضارة التي كانت يوما أصبحت أشد جفافا من الحقول الجرداء الممتدة أمامها على مدى النظر . وأشد اصفرارا ويبوسة من أوراق الأشجار التي تتقاذفها الرياح في الحدائق . وتعبث بها يد الخريف العابس المقيت .

– (ما ليش بخت) !

كذلك قالت عيدة وهي ترفع مرفقيها عن السور لتدخل الى الكوخ . ثم أردفت :

– لو كان لي بخت كان عاش لي ولد أو بنت تسليني !... أرض قفر ... هذي آخرة حياتي ... لا استفدت من الشباب ، ولا يطمئن المشيب ! وانحدرت دمعة حارة مسحتها بكمها الأسود الثخين . ودلفت الى الكوخ لتعود بعد حين .



وقفة
على آثار السودان الدوارس

بقلم : المبارك ابراهيم

كبش حجري يمثل العصر الوثني في السودان قبل ظهور الاسلام .

ان الآثار القديمة في حقيقة أمرها . انهي الا مخلفات ذلك الانسان الأثري القديم الغابر . الذي مضى مودعا هذه الدنيا . تاركا آثاره من ورائه كمعالم تدل عليه . وتمثل للخلف تاريخ حياته وأسلوبه في تلك الحياة ... ولسان حاله يردد مع الشاعر القائل :

تلك آثارنا تدل علينـــا

فاسألوا بعدنا عـــن الآثار !

وقد قامت تلك الآثار الباقية بين ايدينا . بدور « جهينة » ! . فروت لنا عن تاريخ ذلك الأنسان المندثر . أصدق الأخبار وأطرفها . لا لأنها عاصرته — مجرد معاصرة — بل لكونها وليدة تفكيره . ونتاج ثقافته . ومن صنع يديه هو . ومن مستلزمات معيشته اليومية !

وقد لازمته تلك الآثار في كل حالة من حالاته : في حالتي شقائه ونعيمه . كما في حالتي حربه وسلمه .

وقد ظلت آثار انساننا القديم . رابضة على مقربة منه . بعد أن ودع الحياة أو ودعته الحياة . وبقي الحال هكذا أجيالا طوالا . الى أن أشرق عصر المدنية الحديثة بعلومه وأساليبه في البحث . ونلاحظ أنه صاحب العصر الحديث ظهور علم جديد . هو علم الآثار التجريبي . الذي لا غنى عنه لمعرفة حياة الغابرين من طريق دراســة آثارهم الباقية . وأين هي منا ونحن منها . من حيث الترقّي والتدلّي .

وما ان نقب المنقبون عن تلك الآثار في مكانها . وعثروا عليها . حتى انطلقت تنقل لنا عن أصحابها حديثا عجبا . ومن هنا فان تاريخ الآثار القديمة في واقعه . هو تاريخ الانسان القديم . اذ لا ريب في أن التاريخين مرتبطان منذ المنشأ الأول بأوثق العرى .

ابوالخيرات

انني أتوق في كلمتي هذه لأن أميط اللثام — ولو قليلا — عن وجه المعالم الأثرية العديدة المتناثرة هنا وهناك . في مختلف بقاع البلاد السودانية . المتباعدة . ولعله من المحتم على من يتطرق الى الحديث عن آثارنا السودانية العريقة في القدم . ألا يغفل — منذ البداية — عن التنويه والاشادة . باسم أثر من أقدم الآثار «الطبيعية» وأبقاها على الزمن وأروعها وأعظمها شأنا في التاريخ . وهذا الأثر هو النيل .

فهذا النهر يعتبر بحق . الجد الأكبر لجميع الحضارات والمدنيات التي ولدت بين أحضانه . وترعرعت مع أبنائه على امتداد شطانه . وذلك منذ القدم الى اليوم والى الغد القريب أو البعيد .

فالنيل السعيد . هو الذي كان . وما ولا يزال مصدر سعادة لأبنائه . ومما لا جدال فيه أن آباءنا الأولين . كانوا ينظرون الى نيلهم هذا . نظرة كلها اكبار واجلال . وكانوا أثناء جاهليتهم يضعونه بها في مصاف آلهتهم . التي تعبد وتقام لها الطقوس وتقدم لها القرابين !

ولا يفوتني أن أشير الى أن النيل قد ظل على تعاقب الأجيال مصدر وحي والهام لعديد من ذوي المواهب والملكات : كالشعراء والفنانين . ومن ذلك قول الشاعر السوداني التجاني يوسف بشير . مشيدا بمكانة النيل في القلوب . بهذا التعبير العربي الرصين :

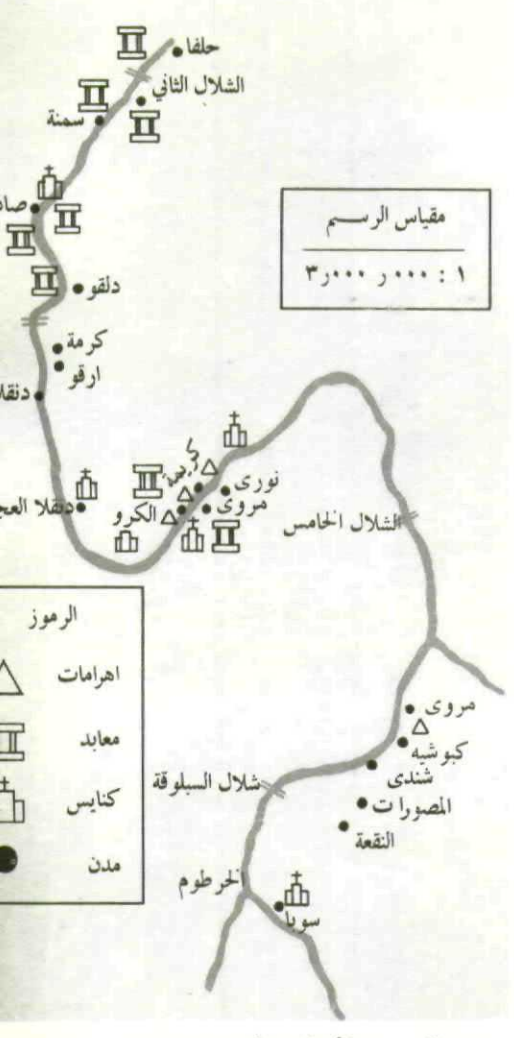
أيها النيل في القلوب سلام الخلـــد
وقف على نصير شبابك
أنت في مسلك الدماء وفي الانفاس
تجري مدويّـــا في انسيابك
ان نُسبنا اليك في عزة الواثق
راضين وفرة عن نصابك
أو رفلنـــا في عدوتيـــك مدلّين
على أمـــة بما في كتـــابك

قبل مليون سنة

برهنت الحفريات التي قام بها علماء الآثار في السودان . والوسائل العلمية الحديثة التي استخدموها في ذلك . برهنت . على أن السودان كان آهلا بسكانه منذ زمن متوغل في القدم . يقدر بنحو المليون من السنين !

وكان السوداني القديم — بطبيعة حاله — يحيا حياة بدائية بكل ما في هذه الكلمة من معنى . اذ كان يعيش متجولا . هائما على وجهه . في جماعات كبيرة أو صغيرة . باحثا عن قوت يومه . الذي كان يحصل عليه من جني الثمار في الأحراش والغابات . ومثل صاحبنا في ذلك . مثل كل انسان عاش في عصور ما قبل التاريخ .

وتدور عجلة الزمن ... وتدور أجيال بعدها أجيال . فاذا بها تدني ذلك الانسان البدائي الهائم على وجهه .. تدنيه من سلم الترقي والتحضر . أو تدني سلم الترقي والتحضر منه . فشرع يصعد درجات سلم الحضارة ، من بدايته درجة درجة وعلى مهل ...!



خريطة توضح الأماكن الأثرية الموجودة على ضفتي النيل ما بين وادي حلفا والخرطوم . ، والمسافة بينهما حوالي ٩٢٥ كيلومتراً .

ثم شرع يتلقى دروسا مفيدة تساعده في الحصول على طعام جديد — منها فن أو حرفة الصيد والقنص . فراح يعتمد في فنون الصيد أولا على خفة ساقيه وقوة ساعديه ، ثم استعان فيما بعد باستعمال الحجارة يرشق بها الطريدة ، ثم تبع ذلك معرفته استعمال العصا الخطبية فالفؤوس الصوانية . فكانت هذه هي الآلات البدائية الأولى التي ظهرت في حياة ذلك الانسان البدائي القديم .

وكثيرا ما كان الانسان القديم . هو نفسه صيدا دسما لغيره من ضاريات الوحوش . ذوات المخالب الفولاذية والأنياب الحادة . وربما يصح أن نصف ذلك الموقف بالصورة السطحية الظاهرة في قول الشاعر :

يا صائد الظبيات باعك قاصر
كم رام غيرك ان يصيد فصيدا !

ويستفاد من حديث للمؤرخ الانجليزي البروفسير آركل الذي كان فيما مضى . مديرا لمصلحة الآثار السودانية . أن الانسان القديم قد ظهر في السودان قبل أن يظهر في الجزر البريطانية بدهور سحيقة . وان ذلك الانسان الافريقي القديم . اما أن يكون قد نشأ حول بحيرات النيل . واما أن يكون قد هاجر من مكان ما . كآسيا مثلا . ومهما يكن من أمر . فان المؤرخين لم يأتوا حتى الآن برأي جازم في هذا الشأن . وان كانوا يتفقون على أن انسان السودان هو من السلالة الحامية .

بلاد كوش

عندما توصل أبناء الشعوب القديمة . الى معرفة القراءة والكتابة بنحو ما يقرب من العشرة آلاف عام قبل الميلاد . وشرع المؤرخون الأوائل في تدوين تاريخ العالم الخاص والعام . عرف السودان عندهم ببلاد كوش كما ورد في التوراة . وقد عرفوا بلاد كوش . بأنها البلاد التي تقوم جنوب مصر عند مجرى الشلالات .

أما مؤرخو اليونان القدامى . فقد قالوا عن بلادنا السودانية . أنها بلاد « ايثيوبيا » أي بلاد الناس الذين تضرب ألوانهم الى السمرة الفاحمة ، أو بلاد محروقي الوجوه ، على سبيل المجاز !

أما عند الفراعنة . فكانت تعرف بلاد السودان ، باسم بلاد « نب » ونب في لغتهم هو الذهب ، وقد جلبه قدماء المصريين بوفرة من اقليم البحر



تابوت متقن الصنع يدل على اهتمام السودانيين القدماء بدفن موتاهم . وهذا التابوت الأثري من مستودعات المتحف .

قلعة سودانية أثرية بشمال السودان يرجع عهدها الى عصر ملوك « مروى » الذين حكموا البلاد وانتهى ملكهم قبل الميلاد ببضعة قرون . ويبدو الى يمين القلعة معملان . أحدهما لصهر الحديد والآخر لحرق الطوب .



الأحمر بشرقي السودان . وما تزال آثار مناجمهم باقية هناك .

بداية الاستقرار

شرع انسان السودان القديم – كغيره آنذاك – يمارس نوعا من الحياة شبه المستقرة . بعد أن عرف كيف يزاول الزراعة . ويتفاهم بكلمات محددة المعنى . ويبني الكوخ . مستمدا فكرة تصميمه في الأصل من عرين الأسود . أو كناس الظباء . ولا غرو فقد كانت من جيرانه في السكن بالغابة ! . وعرف كذلك كيف يعالج طعامه بالنار . ومنه اللحوم التي كان يتناولها نيئة ! . وربما توصل الى معرفة مزية النار في طهو الطعام . من الحرائق التي تشتعل في الغابات والأحراش بفعل الصواعق تارة . في فصل الأمطار . أو بفعل ارتفاع درجة الحرارة . تارة أخرى في فصل الجفاف .

ومن المعروف . أن نشوب الحرائق في الغابات والأحراش – في العادة – يقضي على حياة عدد عديد من حيوانات الغابة . لا سيما تلك القليلة الحيلة منها . فكان صاحبنا أثناء تجواله باحثا عن القوت . يعثر على تلك الحيوانات المشوية أو المحترقة . فيأكلها مستطيبا لحومها مستلذا طيب نكهتها . ومن هنا استمد خبرته الأولى عن مزية النار في طهو الطعام وشواء اللحوم . ولا غرو . فقد توارث عنه أبناؤه حبا عارما للشواء . الى وقتنا الراهن .

ان الاستقرار النسبي الذي حظي به انساننا القديم . كان سببا في ظهور مجموعة من الأكواخ الساذجة . على ضفاف نهر أو حول غدير , فكانت هذه الأكواخ بمثابة ارهاص لظهور القرية ثم المدينة بدورها الكبيرة وقصورها الشامخات .



أحد جدران هيكل الأسد « بالبجراوية » بالقرب من مدينة « شندي » بالسودان . ويشاهد على الجدار صورة الأسد !!

بعض الأهرامات السودانية في منطقة « البركل » ، وهي ما تزال قائمة على حالها ، ويرجع تاريخها الى « ٦٥٠ – ٥٥٠ » قبل الميلاد .

الخروج من التيه

وما ان تسنى لصاحبنا الخروج من ظلمات التيه ... أعني تيه عصور ما قبل التاريخ ، حتى شرع يفكر تفكيرا دينيا بدائيا جاهليا ، ويتعبد لظواهر الطبيعة .وتبعا لذلك ظهرت المعابد في الوجود.

وبعد هذا الخروج من التيه مرت بصاحبنا عدة عهود تاريخية بارزة المعالم ، ظاهرة السمات في آثارها الباقية ، الشاخصة للعيان . وتلك العهود هي :

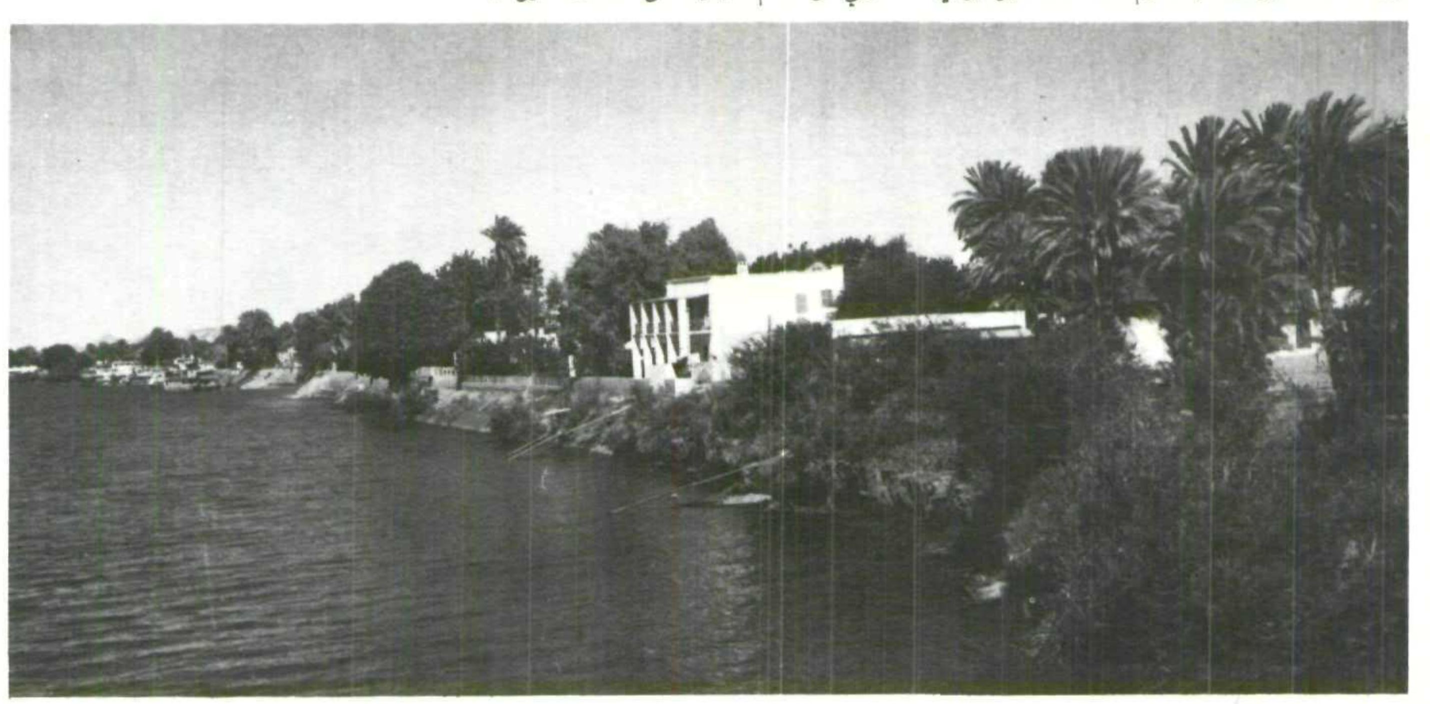
١ – عهد الأسر المالكة ، ٢ – العهد الروماني اليوناني ، ٣ – العهد المسيحي ، ٤ – عهد الفتوحات الاسلامية .

والسودان مليىء بآثار هذه العصور .



أنقاض أحد القصور الجميلة التى أخنى عليها الدهر بالاقليم الشمالي بالسودان . وهي من آثار ما قبل الميلاد .

روضة ذات نخيل وأعناب تقوم عند ضفة النيل بوادي حلفا وهي من المعالم الجميلة على ضفاف النيل .



اجوبة حاول ان تجيب

– ١ –

أ – الخليفة المهدي .
ب – محمد بن الأحمر .
ج – أبو جعفر المنصور .

– ٢ –

أ – في المغرب .
ب – في السودان .
ج – في استراليا .

– ٣ –

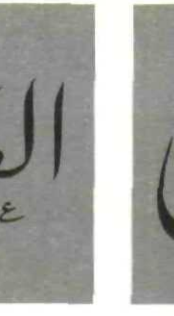
أ – كندول
ب – جيمس شادويك
ج – هرتز

– ٤ –

أ – عبد الله بن ادريس .
ب – جورج صيدح
ج – عبد القدوس الانصاري .








• « تاريخ الانسانية » كتاب جديد أخرجه الاستاذ أحمد حسين مسجلا فيه معالم التطور الحضاري والفكري للانسانية منذ فجر التاريخ . والكتاب يجمع بين فضيلتي الاستيعاب والايجاز . وفي فصوله وحدة تتسلسل لتبرز القيم الحضارية والمفاخر الانسانية التي هي حصيلة الاجتهاد البشري .

◦ أصدر المفكر السوري المعروف الاستاذ فتح الله الصقال . الجزء الثاني من كتابه الجامع « من ذكرياتي في المحاماة » . وهو بأسلوبه الأدبي والروائي خلو من الجفاف . وفيه من العبر والدروس ما ينفع عامة الناس فضلا عن المشتغلين بالحقوق والقانون .

◦ صدر للمرحوم الدكتور محمد مندور كتاب عنوانه « كتابات لم تنشر » فيه أشتات من الفصول التي كتبها الناقد الراحل في فترات باكرة من حياته.

◦ صدر أخيرا كتابان كبيران يعالجان المباحث الاسلامية . هما «دراسات في حضارة الاسلام » من تأليف المستشرق السر هاملتون جب . وترجمة الدكاترة احسان عباس . ومحمد يوسف نجم . ومحمود زايد . و « مناهج البحث عند مفكري الاسلام» وهو طبعة ثانية لكتاب الدكتور علي سامي النشار .

◦ أصدر الدكتور جمال الدين الشيال الجزء الأول من كتاب « مجموعة الوثائق الفاطمية » . وهو يشتمل على طائفة من المخطوطات المتعلقة بالعهد الفاطمي .

◦ من كتب التراجم والسير التي ظهرت مؤخرا . الطبعة الثانية لكتاب « جميل بثينة » للأديب الراحل الاستاذ عباس محمود العقاد . و « محمد بن عبد الملك الزيات » للأستاذ محمود خالد الهجرسي ، و « عباقرة المال والاقتصاد وكيف نجحوا » وقد ألفه نخبة من محرري مجلة فورتشن . وترجمه الى العربية الاستاذ محمد رفعت . و « آباء الصناعة » تأليف لينارد فاننج وترجمة الاستاذ محمد مصطفى العلايلي .

• [illegible] للدكتور علي حسين الخربوطلي كتيب جديد عنوانه « العرب في أوروبا » .

◦ أصدر الدكتور جلال يحيى كتابا عنوانه « العالم العربي الحديث » عالج فيه تاريخ الدول العربية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية .

◦ من الكتب التربوية التي صدرت أخيرا بين مؤلفة ومترجمة « قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية » . للدكتور لويس كامل مليكة . و « نظرات في التعليم الجامعي » . تأليف كلارك كير . وترجمة الاستاذ محمد كامل سليمان . و « التحليل والعلاج النفسي » للدكتور هارولد جرينوالد . وترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة . و « سيكولوجية الضحك » للأستاذ احمد عطية الله . و « تاريخ التربية » للاستاذ جورج شهلا .

◦ « الجديد في فن التريكو » . كتاب علمي مفيد لربات البيوت . صدر أخيرا من تأليف السيدة سعاد فريد .

◦ صدرت مسرحيتان مترجمتان هما « عرفوا ما يريدون » تأليف سوني هوارد وترجمة الاستاذ عبد الله حسين وتقديم الاستاذ علي جمال الدين عزت . و « الثمن الفادح أو جسر آرتا » للأديب اليوناني المعاصر جورج ثيوتوكا وترجمة الدكتور نعيم عطية .

◦ وفي الأدب الروائي صدرت قصتا « الطالق » و « عودة الفتاة » في كتاب واحد للأستاذ الياس عكاوي . و « ملك الرياح » تأليف مرغريت هنري . وترجمة الأديبة وداد المقدسي قرطاس . و « زوربا » للأديب اليوناني نيكوس كازنتزاكي . وترجمة الاستاذ جورج طرابيشي . و « ضياع في سوهو » تأليف كولن ولسن . وترجمة الاستاذين يوسف شرور . وعمر يمق .

◦ من الكتب العلمية التي ظهرت مؤخرا « الصناعات الغذائية » للدكتور محمد ممتاز الجندي . وهو في ثلاثة أجزاء . و « ألوان من أحياء البحر » للدكتور محمد رشاد الطوبي ، و « الطريق الطويل الى الانسان » تأليف روبرت ليرمان . وترجمة الدكتور ثابت جرجس قصبجي . و « السدود والأنهار » تأليف ألان كالين . وترجمة الاستاذ عبد المعطي علي باشا . و « من حياة العلماء » تأليف تيودور بيرلأند . وترجمة الدكتور أحمد بدران . و « وراثة الحيوان الزراعي » تأليف الدكتور عبد العظيم طنطاوي . و « مبيدات الفطريات » تأليف الدكتور أحمد سيد النواوي . و « الفيروس » للدكتور محمد عزيز فكري و « أمراض أشجار الفاكهة وطرق مقاومتها » للدكتور محمد وجدي السواح .

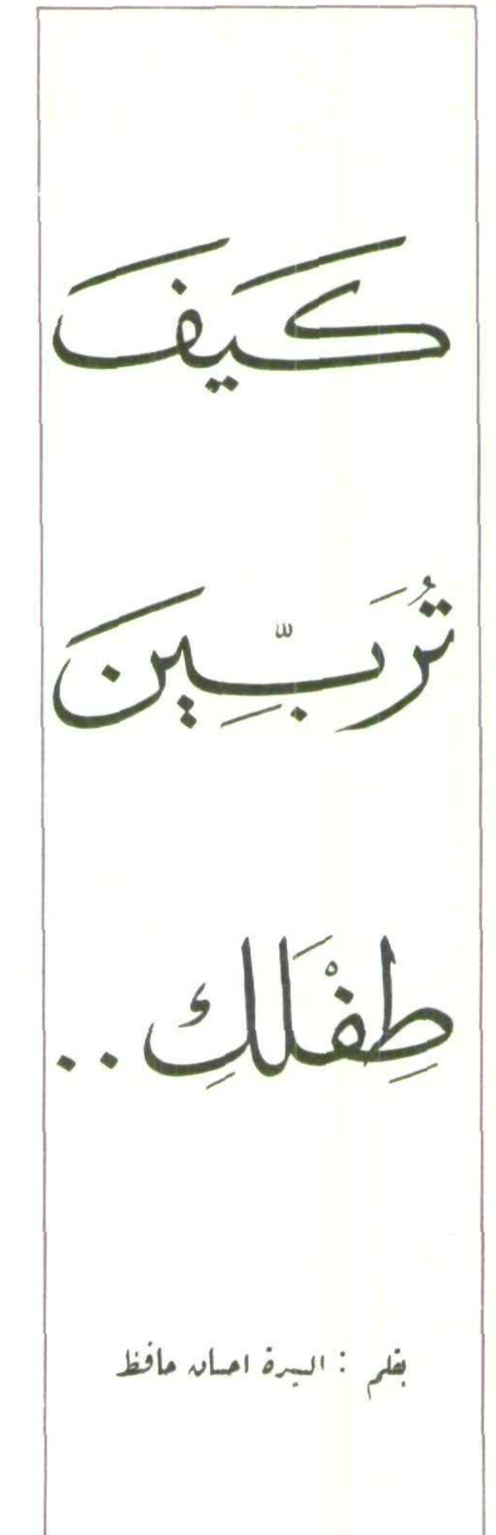
◦ ترجم الاستاذ صبحي طاهر الدجاني كتاب « مكان في عالم النور » من تأليف روبرت رسل . وهو كتاب ألفه كفيف مصورا فيه كيفية اكتشافه للدنيا من حوله واستيعابه ظواهرها وأشياءها وتطلعه الى المستقبل المجهول .

◦ صدرت للدكتور حسين عمر « موسوعة المصطلحات الاقتصادية » . وفيها تعريفات وافية للألفاظ السارية في دنيا الاقتصاد والتجارة .

◦ أصدر الأستاذ حسين عفيف كتابا من الشعر المنثور سماه « الغدير » .

◦ من الكتب الادارية والتجارية التي ظهرت مؤخرا « تنظيم وادارة الأعمال » للأستاذ عبد الغفار يونس . و « ادارة المشتريات والمخازن » للدكتور محمد سعيد عبد الفتاح . و « الادارة العامة وتنمية المجتمع » للدكتور علي عبد العليم محجوب . و « الوجيز في النظم الادارية » للدكتورين محمد طه بدوري . ومحمد طلعت الغنيمي .

◦ صدر العدد الأخير من مجلة « النبوغ » الشهرية التي يحررها ويصدرها أساتذة المدرسة الصناعية وطلابها بالدمام . وهو حافل بشتى المواضيع العلمية المفيدة .



ركن المنزل

كيف تربين طفلك..

بقلم : السيدة احسان حافظ

تعتبر مرحلة الطفولة الأولى أهم سني العمر . فهي المرحلة التي يتكون فيها أساس نفسية المرء وطرق معالجته لشؤونه الحيوية المستقبلة ، ويكون الطفل فيها شبيها (بالفيلم الخام) تطبع عليه صور كل ما يرى حوله أو يلقن اليه من التصرفات . وذلك لوجود جملة خواص عنده اذ ذاك أهمها خاصية التقليد وقابلية الايحاء . ويرجع وجود خاصية التقليد عند الطفل الى نمو عقله السريع في السنتين الثانية والثالثة من العمر . ويكون التقليد مظهرا من مظاهر هذا النمو . فيصبح الطفل معه كالمرآة لأعمال من يحيطون به . ولذلك يجب على أبويه أو من يسهرون على تربيته أن لا يظهروا الشاذ من أفعالهم أو أقوالهم في وجوده والا انعكست على التو في حركاته وعلى لسانه ..

أما قابلية الايحاء في الطفولة فلها الأثر الأكبر في تكوين ما يلازم الشخص من عادات وينتهجه من سبل . ويوحى للطفل بما يراد منه بوسيلتين الأولى . أن يلقن بالكلام أو بالعمل ما يريده من حوله . ويكون بديهيا وفق ارادتهم وحسب مشيئتهم فيأمرونه بما يريدون وينهونه عما يشتهون . وهذا في رأيي قليل الأهمية . والثانية وهي الأهم . ما يوحيه الطفل لنفسه نتيجة لما يراه أو يسمعه . فالطفل الذي يسمع عن مواقف الشجاعة والاقدام تظهر الشجاعة في أعماله . والطفل الذي ينبه الى أن هناك أرقا أو يسمع أن أحد والديه لم ينم قد ينتابه الأرق في هذه الليلة . فيجب والحالة هذه . أن نبعد الأطفال عن سماع قصصنا الخاصة وما نرويه عن مشكلاتنا ..

يرجع الى الأم أو من يكون في موضعها حدوث الأثر الأكبر فيما يوحيه الطفل لنفسه . فالأم الثابتة الرزينة تنشيء أطفالا ثابتين لهم قدرة على مواجهة المشكلات . أما الأم التي تثور لأتفه الأسباب فقد يكون أطفالها شديدي الحساسية والانفعال ..

ويمر بالطفل فترة تبدأ عند نهاية السنة الأولى وتستمر بضع سنوات يتعلم خلالها كيف يتحكم في حركات أصابعه ويديه . ولهذا يعمد الى تناول ما يوجد أمامه دون تفرقة . وهو أما أن يدفع به الى فمه الذي هو وقتئذ أكثر جسمه حساسية أو يقلبه ويلهو به . ويظن حينئذ أن طفلهم يريد أن يعبث بكل شي فيعمدون الى نزع هذه الأشياء من يد ايذائه . وفي هذا ما يعوده عن طريق التقا على خطف الأشياء من اخوانه . والواجب على أهل الطفل أن يشجعوه على اعادة ا بنفسه الى موضعه الأصلي . ويكبروا فيه الصفة والا يذكروا اسمه الا ممدوحا النظام ووضع كل شيء في محله. وهكذا يعتاد يتلف شيئا وان يمد يده الى الأشياء بحذر ما دام يعرف أن الواجب يقضي عليه أن يعيد موضعها الأصلي بعد فحصها أو اللهو بها

ويود الطفل دائما أن يست باهتمام والديه . وإظهار قوته على أقرانه في جميع المناسبات . وقد لذلك من الأعمال ما هو شاذ أو سببا في وصفه بقلة الأدب والتربية . و الآباء وقتئذ أن لا يقفوا في وجه اعتداده واظهار قوته والا نشأ ضعيفا ذليلا فاقدا الاعتداد بالنفس . بل عليهم أن يشجع الأعمال والصفات الحميدة بمدحها أما ويتجاهلوا أعماله الشاذة ولا يذكروها أمامه م ويفضل ألا يشعروه بأنها تسبب لهم م وكدرا والا لازمته وصارت من عاداته . و بهم في هذا المقام أن يمنحوا أطفالهم الحر مزاولة ألعابهم مع مراقبتهم والعمل على تعرضهم للأخطار دون أن يشعروهم بذلك

وتعتبر هواية الطفل بمختلف الألعاب من الطرق لتكوين النفسية القوية والعادات ا فوق ما في ذلك من رياضة بدنية . فيجب لا يمنع من مشاركة اخوانه وأقرانه ألعابهم ونش وان يراعي في ذلك حمايته من مخاطر الألعاب وتشجيعه على اختيار المناسب له من

ويجب على الآباء أن يكون رائدهم في أبنائهم النصح والارشاد والتفهيم لا الشدة التي قد تفسد الطفل وتخلق منه رجلا شاذا للشر والايذاء . وليعلموا أن الطفل يمك يستوعب بعض الارشادات البسيطة ويرى الأفعال الحميدة منذ السنة الثانية من عم قبل ذلك بقليل ..

ومن الخطأ أن يعمد الآباء الى خداع أطفالهم اتلتهم أو التحايل عليهم فذلك يبعث فيهم ة التردد والشك ويجعلهم يفقدون الثقة في يهم ولا يلبث ذلك ان ينعكس عليهم فيفقدون في أنفسهم ..

ان استعمال الشدة والقوة من أسوأ الوسائل تتبع في تربية الأطفال وأبلغها ضررا . فهو أن يبعث في الطفل غريزة الاعتداد بالنفس كل شاذ يكون من دلائله عدم الطاعة والميل والتشرد وايذاء الغير ، أو ينمي فيه غريزة ضوع والامتثال فينشأ ضعيفا جبانا لا يقوى مجابهة مشاكله ويتخذ من الكذب والخداع اق خير عون ومساعد ..

يكون هناك من الظروف ما يرى معه من يسهر على تربية الطفل فهناك ضرورة ة لاستعمال بعض القوة في تعليمه وتربيته على أن عمل بحكمة وروية . ويقصر استعمالها على الملابسات ضرورة مع تفهيم الطفل خطأه العقوبة وان يضرب أو ينهر على التو دون ر . أما عقابه دون أن يعرف خطأه فقد ث له صدمة نفسية شديدة يكون أثرها كبيرا المستقبل . كذلك توعده بالعقاب وتركه قد ه تحت توتر نفسي يؤثر فيه تأثيرا سيئا ويكون عدم معاقبته بعد ذلك ما يحمله على الشك قدرة متوعده أو ما يعوده الكذب ..

وأخص ما يصادف عند الأطفال ظاهرة الرفض العناد . وترجع هذه الظاهرة في الغالب الى الاعتناء بتربية الطفل أو المبالغة في تدليله وجوده في بيئة غير صالحة ، وهي عنوان د يكون عليه الطفل من اضطراب نفسي ، ون علاجها عن طريق بحث الحالة النفسية بة لها . ويتجاهل الآباء عناد ابنائهم هذا يعلقون عليه أهمية اذا ما كان في شئونهم صة . أما اذا وجدوا أن هذا العناد سوف الى الضرر فعليهم فضه بتداخلهم . ويجب يصروا في هذه الحالة على ازاله أثر العناد الحال وان لا يتراجعوا بتاتا بطاعة جزئية ، لا اذا رفض طفل أن يتناول طعامه فعلى والديه ينصحوه أولا ثم يتركوه وشأنه بعد ذلك ، يعيرون رفضه أهمية ما الا اذا وجدوا أنه ض للاصابة بالمرض والضعف ، نتيجة لذلك ، فيجب عليهم حينئذ أن يتدخلوا ويأمروه بأن يأكل كمية يرونها مناسبة من طعام يختارونه ولا يتراجعون — حتى ولو احتاج الأمر للشدة — الا بعد أن يأكل الكمية التي حددوها له . ويجب أن يكون العقاب في ساعته وان لا يسبقه تهديد أو وعيد ..

أما فقد الشهية عند الأطفال فيمكن رده غالباً الى حالات نفسية تعتري معظمهم ، ويكون سببها الاضطراب الناشيء عن سرعة نمو عقلياتهم بدرجة لا تتناسب مع نمو أجسامهم أو الايحاء الناشيء من حالة الوسط والبيئة المحيطة بهم ، أو أحيانا نتيجة اعتياد الطفل الرفض والعناد . ومما يجب أن يعرفه الآباء أن الشهية الجيدة والهضم السريع يحتاجان لنفس مطمئنة ، فالاطمئنان يبعث في الانسان نشاطا وقوة تظهر في قيام احشائه بعملها على وجه تام ..

هنالك أفعال شاذة يقوم بها الأطفال لا يتسع لي المقام أن أسرد الكثير منها ، وأكتفي بأن أبيّن أن ترك الطفل للمنزل مثلا غالبا ما يكون سببه توعد الطفل بالأذى أو القسوة في معاملته ، أو تركه للمدرسة قد يتسبب عن عدم استمتاعه بحضور الدرس والاستماع للمدرس أما لسهولة الدرس وكونه في مستوى أقل من مستوى عقليته أو عكس ذلك ..

ومن الأفعال الشاذة الأخرى التي يقوم بها الطفل ، الكذب الذي يتخذه عادة لوقاية نفسه من العقاب أو الهرب من مواجهة مشكلة ما . وتكون القسوة في معاملة الطفل لاخوانه أو في معاملة الحيوانات في الغالب نتيجة للتربية التي تبعث فيه الشذوذ والغيرة والحسد ، وتبعث فيه الاعتداد بالنفس في شكل شاذ ..

وخلاصة القول أن تربية الطفل يجب أن تشمل تربية عقلية جسدية في الهواء الطلق والأماكن الخلوية ، يدرب فيها على القيام بالألعاب المسلية والتمرينات الرياضية التي تناسبه .

والتربية النفسية الصحيحة تقوم على أساس حث الطفل على مواجهة مشكلاته بنفسه مع احاطته ببيئة صالحة وعدم تعليق الأهمية البالغة على ما يرتكبه من أخطاء أو تذكيره بها بين آن وآخر . كما يجب تشجيع كل عمل حسن يقوم به وان يذكر اسمه دائما مقرونا بالتقدير . •

صينيّة السّمك

المقادير :

نصف كوب من الكرفس المفروم غليظاً .
كوب بصل مفروم ناعما .
نصف فنجان بقدونس مفروم .
٢ كيلوغرام من السمك المتوسط أو الكبير الحجم .
ملح — فلفل — عصير الليمون .
ربع كوب من الزيت
ملعقة صغيرة من الفلفل الاحمر غير الحار .
كوبان من عصير الطماطم .

الطريقة :

ينظف السمك ويقطع شرائح كبيرة نوعا ما ثم يتبل بالملح والفلفل وعصير الليمون . يغلى عصير الطماطم وحتى يغلظ القوام ويتبل بالملح والفلفل . بعد ذلك يخلط الكرفس بالبصل والبقدونس ويوضع في قاع صينية أو صحن فرن . ثم يرص السمك على طبقة الخضر على شكل منتظم في وسط الصحن ، بحيث يرش بالزيت والفلفل الأحمر . يوضع السمك في فرن متوسط الحرارة مدة عشر دقائق ، هنا تصب الطماطم المتبلة بالملح والفلفل على السمك ويعاد الطبق الى الفرن . يترك السمك بالخضر في الفرن حتى ينضج . وبعد ذلك تقدم صينية السمك ساخنة أو باردة حسب الرغبة .

الصفحة الضاحكة

درس في النحو

المعلم : ايت بجملة مفيدة تشتمل على ظرف .
التلميذ : أرسلت رسالة الى أخي .
المعلم : أين الظرف في هذه الجملة .
التلميذ : أرسلت فيه الرسالة .

تعليل

الأول : لقد رجع ابني من باريس ومعه « ماجستير » .
الثاني : أعتقد بأن هذا ناجم عن شدة البرد هناك لأن ابني أيضا رجع من باريس ومعه « روماتزم » .

بالوراثة

الخطيبة : انك يا عزيزي تبدو أحيانا قويا شجاعا جسورا . وأحيانا رقيقا ناعما .. ما السر في ذلك ؟
الخطيب : الوراثة ... فنصف أجدادي من الرجال والنصف الآخر من النساء ! !



في حديقة الحيوان



اخماد النار . . . على نغم المزمار

« الفقر مش عيب »

الأولى : إن ثروتي كلها كامنة في وجهي .
الثانية : (بعد ان تأملتها جيدا) على كل حال « الفقر مش عيب يا أختي » .

أنا تاجر مظلّات

الأول : اني سعيد جدا بهطول أمطار غزيرة هذا اليوم .
الثاني : عجيب .. هل أنت مزارع !!؟
الأول : لا ... تاجر مظلات .

لباقة طفل

الطفل : لا تحزن لرسوبي يا أبي .
الأب : لماذا ؟
الطفل : لأن المعلم الذي كان يدرسنا في العام الماضي قد رسب أيضا وجاء يدرسنا في الفصل نفسه .

نباهة طالب

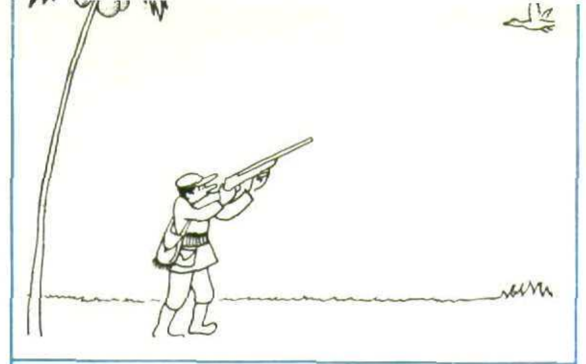
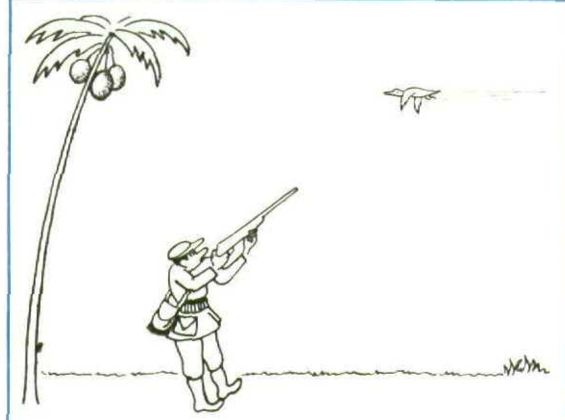
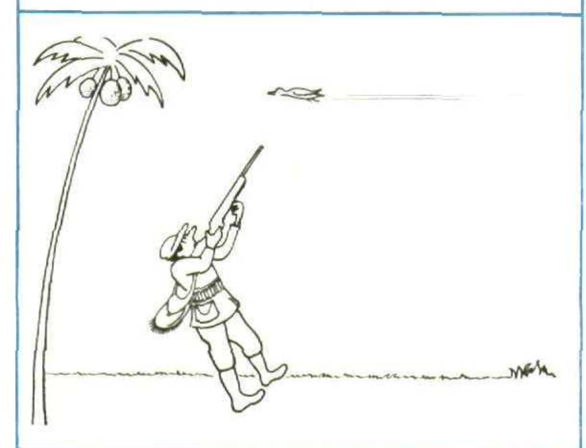
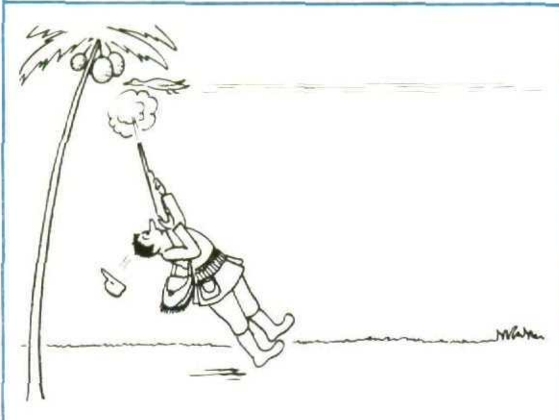
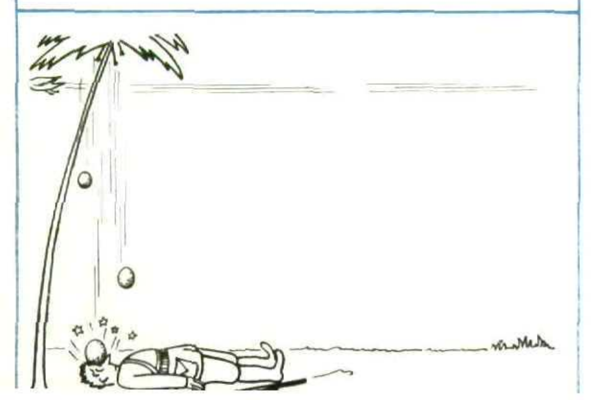
المعلم : ما هي أطول كلمة ؟
التلميذ : «مطاط» .
المعلم : كيف كان ذلك ؟
التلميذ : لأن الواحد منا يستطيع أن يمطها كيفما يشاء .

الحق معها..

الزوج : أين الكتاب الذي أحضرتُه معي قبل ساعة ؟
الزوجة : أي كتاب ؟
الزوج : الكتاب الذي يحمل عنوان « كيف تعيش مائة سنة » .
الزوجة : لقد خبأته .
الزوج : لماذا ؟
الزوجة : أخشى أن يقع بين يدي أمك لدى زيارتها لنا .

شجاعة أدبيّة

الزوجة : لِمَ لم تعد تأتيني بشيء كعهدي بك أيام الخطوبة ؟
الزوج : (مبتسما) ، هل رأيت صيادا يطعم السمكة بعد صيدها ؟!



حد المنتزهات العامة في مدينة الخرج

تصوير عبد اللطيف يوسف